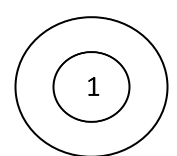


طريق وصولك إلى الله

جمع وترتيب

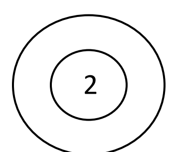
محمود محمد ساق الله (أبو حمزة)



الطبعة الأولى

فلسطين – غزة

للعام 1442هـ _ 2020م



شكر وعرفان لأصحاب الفضل بعد الله تعالى...

إلى...

أبي الغالي الذي تعلمت منه الكثير الكثير، وهو سندي بعد الله

أمي الحنونة التي يعجز اللسان عن وصف حنانها، وطيبة قلبها، والتي تحملتني كثيراً.

زوجتي الحبيبة التي تحملتْ مني الكثير، وصبرت عليَّ، ورافقتني في مسيرة الكتاب، وحملتْ عني كثيراً من الواجبات التي قصرت فيها، لأني انشغالي كان بجمع الكتاب كبيراً في أغلب الأوقات، فكانت لي نعمَ العون والرفيق.

العلماء والشيوخ التي تعلمت منهم وتتلمذتُ على أيديهم وكتبهم، وتربيت على نصائحهم وتوجيهاتهم.

لكلِّ قارئٍ للكتاب فرَّغ من وقته حتى جلس ليقرأ فيه، وليقلب النظر بين صفحاته، وليجول في بستانه.

لماذا هذا الكتاب؟

ليتعرف الناس إلى ربهم، وليستمدوا من فيض هذه الصلة روحانيةً كريمةً تسمُوا بأنفسِهِم عن جُمودِ المادة الصَّماء وجُحُودِها، إلى طُهرِ الإنسانية الفاضلة وجمالها[1].

ليُعَرِّفَكَ من أنت؟ وأين الطريق؟ وكيف تسير؟ وكيف تُقطَع الطريق إلى الله؟

فيجيب هذا الكتاب على تساؤلاتِكَ فيقول لك:

أما أنت...

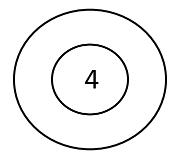
فعبد الله، خلقك لعبادته، والعَملَ بطاعته، وكلُّ ما في الوجود مُسَيَّرٌ لخدمتك، فإن أطعته فيما أمرك به أسكنك دار مُقامَته، وإن عصيتَه فجهنم وبئس المهاد.

أين الطريق...

قال تعالى: "وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا"

وقال سبحانه: "وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا..".

[1] _ مجموعة رسائل الإمام البنا ص:477_478.



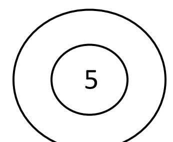
أما عن ماهيةِ السير فيه...

" . . فاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُبُلَ فتفَرَّقَ بِكُم عَنْ سَبِيلِه ذِلكُمْ وَصَّاكُم بِه لعلَّكُم تَتَّقُون " .

أما مركبُكَ لقطعِ الطريق إلى الله...

فاعلم أن الطريق الموصلة إلى الحق سبحانه ليست مما يقطعُ بالأقدام، وإنما يُقطَعُ بالقلوب، والشهواتُ العاجلةُ قُطَّاعُ الطريق، والسبيل الكليل المدلهم، غير أن عين الموفق بصَرُ فرسٍ، لأنه يرى في الظلمَةِ كما يرى في الضوء، والصدقُ في الطلبِ منار أينَ وُجِدَ يدلُّ على الجادَةِ[2].

[2] _ صيد الخاطر ص:367.



هذا الكتاب رسالة إلى فريقين

هي رسالة قوية إلى...

المتقلبِ بين ألوان الطاعات... ممن غمر فيضُ الإيمان قلبه... نقول له:

لن يقدر أحد على سلبِ سعادتك، وتنغيصِ حياتك...

لن تقوى قوى الأرض مجتمعةً أن تقلبَ بسمتكَ إلى عبوس...

فالإيمانُ أحياكَ وأسعدَ قلبكَ وقوّاكَ...

وبها يصدح القرضاوي: الله أسعدني بظلِّ عقيدة... أفيستطيع الخلق أن يشقوني؟!.

وهي رسالة كذلك إلى...

المتقلب بين ألوان الخطايا...

يا غارقاً حتى أُذُنيهِ في مستنقعِ الأهواءِ والرزايا...

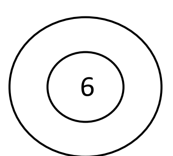
أخي المُعرِضُ عن الله حيناً من الدهر...

المحرومُ من موسم العطايا، وقد انهمرت على قلوب المقبلين.

إليك رسالة فحواها...

مفتاح هدايتك بين يديك...

ولحظة انقلابك مكنوزة في قلبك الذي بين جنبيك...



لكن عودته للحياة مرهونة بصدق التجائك، وطول بكائك، ومن انتشل هؤلاء من براثن الكفر قادرٌ على أن يُخرِجَ أمثالك من الموحدين من أودية الإعراض، وجنبات الغفلة...

ها قد أُلقِيَ المفتاحُ إليك على رمية حجر...

يهتف بك أن تناوله...

لتفتح أقفالَ قلبِكَ المقفلة...

وتنسِفَ أبوابَهُ المؤصدة...

ليدخُلَ النورَ...

ويخرج الظلام...

"يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ"

وهذه السعادة هي مكافأة الله لمن أطاعه، وآثر رضاه على نفسه... حتى إن واحداً ممن عاشوا هذه السعادة، وغرفَ من معيتها ليخبرك بها فيقول: نحن في لذة لو علمها الملوك لجالدونا عليها بالسيوف[3].

[3] _ جنتان عش جنة الدنيا قبل جنة الآخرة ص:61_62.



[4] _ الثواء: العمر والأجل.
[5] _ الرقائق ص:108.


واعلم أن...
من صحت بدايته... صحَّت نهايته
ومن فسدت بدايته... فربما هلك

بسم الله الرحمن الرحيم

خطبةُ الكتاب

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً، وأشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وصفيه من خلقه وخليله، أدى الأمانة، وبلغ الرسالة، ونصح الأمة، فكشف الله به الغمة، وتركنا على البيضاء ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها إلا هالك أو ضال.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران:102).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء:1).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (70) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (71)﴾ (الأحزاب).

"اجْعَلَنا للمُتقينَ إماماً":

إنه ليس استشراف للمسئوليةِ والتَزَعُمِ وحبِ الظهور، ولكنه يسأل أن يكون إماماً في الدين، وأن يجعله للمتقين إماماً، يقتدي به المتقون، كما اقتدى هو بالمتقين، فإذا أحب هذا العبد الداعي إلى الله أن يكون في أعينهم جليلاً، وفي قلوبهم مهيباً، وإليهم حبيباً، وأن يكون فيهم مطاعاً لكي يأتموا به، ويقتفوا أثر الرسول ﷺ على يديه، لم يضرُّه ذلك، بل يُحمَدُ عليه، لأنه داعٍ إلى الله يحبُ أن يُطاع ويعبدَ ويُوَحّدَ، فهو يحبُ ما يكون عوناً على ذلك موصلاً إليه، فإن

الإمام والمؤتم متعاونان على الطاعة، وإنما سألوه ما يعينون به المتقين على مرضاته وطاعته، وهو دعوتهم إلى الله بالإمامة في الدين[6].

نسألُ اللهَ تعالى أن يجعلنا منهم.

[6] _ الروح لابن القيم، نقلاً عن كتاب المنطلق ص:188 بتصريف واختصار.

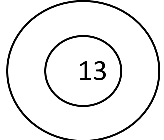
المُقدِّمَة

قال الحقُّ تبارك وتعالى: "ورَضِيتُ لكُم الإسْلَامَ دِيناً"

وأنْتَ إذا أنْعمتَ النظرَ في تعاليمِ الإسلامِ وجدتَهُ قد وضعَ أصحَّ القواعد، وأنسب النُظُم، وأدق القوانين لحياة الفرد رجلاً وامرأة، وحياة الأسرة في تكوينها وانحلالها، وحياة الأمة في نشوئها وقوتها وضعفها[7].

فإذا قلَّبت النظر حولك إذا بك تَحمَدُ الله على نعمة الإسلام وكفى بها من نعمة، وتشعر بأن ما جاء به محمد ﷺ هو المنهج الذي يَسوسُ الدنيا ليسعد الخلق فيها قبل أن يلتقوا بالخالق، فلقد وَرِثنا هذا الإسلام الحنيف واصطبغنا به صبغةً ثابتةً قوية، تغلغلت في الضمائر والمشاعر، ولصقت بحنايا الضلوع، وشغاف القلوب، واندمجنا بكليتنا في الإسلام بعقيدته وشعائره وشريعته، ولغته وحضارته، وهذا كله ميراث عزيز غالٍ لا نفرطَ فيه ما حيينا، فنحن في حَنِينٍ دائم إليه يجذبنا إليه، بروعته وجلاله، وأصوله الثابته التي لا نفرط فيها أبداً مهما بذلنا من دمائنا وأموالنا وكل ما نملك[8].

7 _ مجموعة رسائل الإمام البنا ص:61.
8 _ خواطر إيمانية ودعوية ص:34.



وقال ابن القيم _رحمه الله_: سمعت شيخ الإسلام ابن تيميةُ في آخر حياته المباركة يقول: أنا منذ أربعين سنةٍ أُصحِحُ إسلامي كُلَّ يوم، وما أظُنُّ أنَّني أسلمتُ اسلاماً جيداً إلى الآن[9].

فكل مخلوقٍ من مخلوقاتِ الله تعالى له منهجٌ رباني يسيرُ عليه لا يستطيع الخروجَ عنه قيد أُنمُلَةِ ولا شعرَةٍ، فالشمس لا يمكنها أن تخرج عن المدار الذي أمرها الله أن تدور فيه، ولو خرجت زاوية واحدة عن محورها لتحطمت وحطَّمت الكثير، وكذلك القمر والأرض[10]...

فكما أن للشمس ثباتاً وجاذبية، وللأرض مداراً ودوراناً، فإن للبشر هذا الدين، إن فقده اختلَّ ميزانه[11].

ففي ماضي الحياة، وحاضرها، ومستقبلها، كان الوحي الإلهي (ولا يزال) العاصم الذي يمسك الأرض أن تزول، والحضارات أن يلتبس فيها الرُّشد بالغي[12].

---

9 _ قصة الالتزام ص:37.
10 _ القواعد والأسس التي ربى عليها النبي ﷺ الجيل الأول ص:29.
11 _ المنطلق ص:49.
12 _ جدد حياتك ص:182.

فالنفس البشرية إن خرجت عن المنهج الرباني الذي خَطَّهُ الله لها فقد وقعت في الحضيض، ولا بد أن نبدأ مع النفس البشرية من حيث هي، بحيث نلتقطها من هذا الحضيض الذي هبطت إليه، ثم نسير معها صعداً نُعطيها الإيمان جُرعةً جُرعةً، نُواكبها في نُموها، ونُقيل لها عَثراتها، ونردها من هنا، ونهذبها من هناك، حتى تشبَّ قائمةً على عودها، صلبة لا تهزها الزلازل، ثابتة لا تجتثها الأعاصير[13].

فللنفوس العظيمةِ مجالٌ أرحبُ مدى، وأطولُ امتداداً، تَشرُفُ فيه على الحياة ولها فكرٌ أوعى، وشعورٌ أقوى...
وتستقيم على نَهجٍ من السلوك الرفيع قَلَّما تزِلُّ عنه...
فهي كالطير الذي أَلِفَ الذرا لا ينحطُّ دونها إلا لماماً...
وإذا هَبَطَ فما يبقى إلاّ ريثما يُرفرف بجناحيه صُعُدا إلى حيث يعيش[14].

[13] _ القواعد والأسس التي ربى عليها النبي ﷺ الجيل الأول ص:26.
[14] _ جدد حياتك ص:181.

في بداية الالتزام...

عادة ما ينشأ صراع بين الملتزم ومن حوله نتيجةً لتغير الأفكار والعادات لدى الشخص الملتزم، وهذا الصراع يبدأ بالأسرة[15]، ثم الأصدقاء[16]، ثم تتسع الدائرة لتصل إلى المجتمع كله[17].

ولأن الملتزم حديثاً كمن يولد من جديد، يبدأ في النظر إلى من حوله برؤية مختلفة، ويبدأ المجتمع من حوله يراه بصورة جديدة، ولا بد من فترة انتقالية يجب أن يديرها الملتزم بحكمة وعقلانية، حتى يَتَقَبَّلَ هو الصورة الجديدة للآخرين...

ويَقتنع الآخرون بالتزامه، ولربما في هذه الفترة يواجه الملتزم صعوبات عليه أن يتحملها بصبرٍ وشجاعةٍ واستعانةٍ بالله، ولا ينهزمُ أمام رياح النقد والسخرية[18]، وألا يجد في نفسه حرجاً ولا ضيقاً لالتزامه بأمر الله وشرعه، وإن لامه الناس جميعاً[19].

---

15 _ من لم تكن ملتزمةً بأحكام الشرع.
16 _ ما لم يكونوا أصحاباً صالحين.
17 _ في حب الصحابة ص:94.
18 _ المرجع السابق ص:95.
19 _ مجموع الرسائل الإيمانية ص:82.

وغالباً ما يُواجَهُ الشخصُ الملتزم بالسخرية من أصدقائه، وكلما شَعَرُوا بالضعف من ناحيته زادوا من سخريتهم له، ولا حلَّ لهذه المشكلة إلا بقوة شخصية الملتزم أمام أصدقائه، وثقته في نفسه، ودفاعه عن تدينه بعزة ولطف دون صدام[20].

البداية القوية

ولا بد من بداية مشتعلة، بداية سديدة قوية، بداية ثابتة راسخة، على أصول وقواعد وأسس، أما البدايات العاطفية فإنها تفتر على مرور الأيام، فمن كانت له بداية محرقة كانت له نهاية مشرقة[21].

فينبغي أن تكون همتك على قدرك، ولكَ قدرٌ عظيم لو عَرَفته[22].

من لم يباشر حَرَّ الهَجير في طِلابِ المجد لم يَقِل في ظلال الشرف[23].

وقد قالوا فصدقوا...

من تلمَّحَ حلاوة العافية هانَ عليه مرارةُ الصبر[24].

ومن تلَّمَحَ فجرَ الأجر يهُن عليه ظلامَ التكليف[25].

ومن لاح له حالُ الآخرة هانَ عليه فِراقُ الدنيا[26].

[20] _ في حب الصحابة ص:94.
[21] _ إلى الهدى ائتنا ص:75.
[22] _ المدهش ص:228.
[23] _ الفوائد ص:57.
[24] _ المرجع السابق ص:67.
[25] _ المدهش ص:194.
[26] _ الفوائد ص:112.

ومن تذكر حلاوة الوصال يَهُن عليكَ مرُّ المجاهدة[27].

فما علت اللآلئ على الأعناق إلا بمعاناة الغوص في الأعماق[28].

ولديَّ إليكَ تحذيرٌ... فإيَّاك أن تستطيل الطريقَ فقد قيل: من استطال الطريق ضَعُفَ مشيُهُ[29].

فقل لها: يا أقدام الصبر احملي بقيَ القليلُ[30].

واعلم النفس _غالباً_ لا تلتزم إلا بالإلزام[31]، ولذلك قالوا: والنفس ما عودتها تتعود[32]، ولذا كثرت وصايا الزهاد والعباد لمبتدئي طريق الاستقامة بإلزام النفس الخيرَ، وعدم انتظار مطاوعتها على ذلك، فإنها إن أطاعت مرة تكاسلت مرات[33].

نَشْأتُ الأجيال:

ونَشَأتْ أجيالٌ لا تعرف من الالتزام إلا صورته دون تطبيقٍ أو فهمٍ لمعناه، فإلى الله المشتكى، وعليه التكلان، وهو المستعان[34].

---

27 _ الفوائد ص:113.
28 _ وجنتك المحراب ص:97.
29 _ الفوائد ص:112.
30 _ المرجع السابق ص:112.
31 _ مجموع الرسائل الإيمانية ص:263.
32 _ المرجع السابق ص:29.
33 _ المرجع السابق ص:263.
34 _ المرجع السابق ص:242.

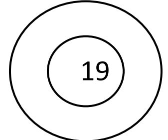
فحيثما أجلت النظر تجد كثيراً من المراهقين والشباب والمراهقات والشابات قد انساقوا وراء التقليد الأعمى، وانخرطوا في تيار الفساد والإباحية دون رادعٍ من دين أو وازعٍ من ضمير، كأن الحياة في تصورهم عبارة عن متعة زائلة، أو شهوة هابطة، ولذة محرمة، فإذا ما فاتهم هذا فعلى الدنيا السلام...

فترى الواحد من هؤلاء ليس له همٌ في الحياة إلا أن يتخنفس في مظهره، وأن يتخلَّع في مشيته، وأن يتميع في منطقه، وأن يبحث عن ساقطة مثله ليذْبَحَ رجولته عند قدميها، ويقتلُ شخصيتَهُ في التودد إليها، وهكذا يسير من فساد إلى فساد، ومن ميوعةٍ إلى ميوعةٍ، حتى يقعَ في نهاية المطافِ في الهاويةِ التي فيها دمارُهُ وهلاكُهُ[35].

ونحن في أمسِّ الحاجة إلى...

<u>بناء الرجل المسلم في تفكيره وعقيدته، وفي خلقه وعاطفته، وفي عمله وتصرفه، فهذا هو التكوين الفردي[36].</u>

[35] _ تربية الأولاد في الإسلام (144/1).
[36] _ مجموعة رسائل الشهيد حسن البنا ص:95.



فلا بد من غرس العقيدة في النفوس ابتداءًا...

لأنها هي الضابط الأمين الذي يحكم التصرفات، ويوجه السلوك، فالعقيدة هي دماغ التصرفات، فإذا تعطَّل جزء منها أحدث فساداً كبيراً في التصرفات، وانفراجاً هائلاً عن سوي الصراط[37].

وصاحب المبدأ لا يتعب ولا يشقى بل يُكَّيِّفُ ظرُوفَهُ لتوافق مبدئه، بخلاف المتساهل فإنه يتلون كل يوم على مبدأ وفكرة[38].

قال تعالى: "أُولِي الأَيدِي والأَبصَار"

قال ابن القيم _رحمه الله_: والمراد بالأيْدِي والأبصَار هنا القوة في أمر الله تعالى والبصر بدينه، فأراد أنهم من أهل القوى في أمره، والبصائر في دينه[39].

---

37 _ القواعد والأسس التي ربى عليها النبي ﷺ الجيل الأول ص:20 بتصريف واختصار.

38 _ مجموع الرسائل الإيمانية ص:181.

39 _ بدائع الفوائد (237/2)

إنهم أصحابُ الإِقدام الذي لا يشوبه عجزٌ، والنظر الذي لا يشينه جهل، إنهم مستخلصونَ من أجيال الدنيا كما تستخلص أطايب البستان النَّضِر في هدية مستحبةٍ، قد يُترك فيها الجميل إلى ما هو أجمل منه[40].



[40] _ جدد حياتك ص:182.

الباب الأول:

تعريفات

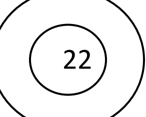
معنى الالتزام: يطلق الالتزام في اللغة على عدة معان منها:

(أ) الاستمساك أو الاعتناق والالتصاق بالشيء، تقول: التزم الشيء، وبالشيء تعني: استمسك به أو اعتنقه والتصق به.

وفي لسان العرب: والالتزام: الاعتناق، وفي حديث مناشدة النبي ﷺ ربَّهُ يوم بدر... "فما زال النبي ﷺ يهتف بربه يوم بدر، مادًّا يديْهِ، مستقبلَ القبلة، حتى سقطَ رداءه عن منكبية، فأتاه أبو بكر ﷺ، فأخذ رداءَهُ فألقاه على منكبيه، ثم التزمه من وراءه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك...".

(ب) الفرض أو الإيجاب على النفس، تقول: التزم الشيء أو الأمر: أوجبه على نفسه، والتزم فلان للدولة: تعهَّدَ أن يؤدي قدراً من المال لقاء استغلاله أرضاً من أملاكها فهو مُلْزَم[41].

[41] _ آفات على الطريق (2/101_103).



الباب الثاني:

البداية

قال الباري سبحانه: "أَوَمَن كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ".

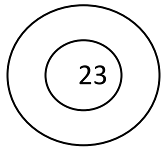
إنها حياة تجدَّدت بعدَ بلى، ونَقلةٌ حاسمة غيَّرت معالم النفس، كما تتغّيَّر الأرض المَوَات بعد مقادير هائلة من الموات والمخصَّبات[42].

قال ابن القيم _رحمه الله_: ولا يذوق العبد حلاوة الإيمان، وطعم الصدق واليقين، حتى تخرُجَ الجاهليةُ كلُّها من قلبه[43].

فإن البعدَ عن الله لن يثمرَ إلا علقماً، ومواهب الذكاء والقوة والجمال والمعرفة تتحوّل كلُّها إلى نِقَمٍ ومصائب عندما تَعرَى عن توفيق الله وتُحرم من بركته[44].

---

[42] _ جدد حياتك ص:17.
[43] _ تهذيب مدارج السالكين، نقلاً عن كتاب قصة الالتزام ص:37.
[44] _ جدد حياتك ص:18.



والسعادة الحقيقية هي الرحلة التي في كُلِّ خطوةٍ من خطواتها يرتشف قلبُكَ مذاقَها الرائع، وهذا الكنز لا يكون إلا للمؤمن، وهذه الديمومة لا توجد إلا في رحاب الإيمان والقرب من الرحمن[45].

[45] _ جنتان عش جنة الدنيا قبل جنة الآخرة ص:57.

الباب الثالث:

من مظاهر الفتن

لقد كَثُرت الفتنُ في زمانِنا هذا فأصْبَحتْ تَصعُبُ على الحَصْرِ بعد أنْ كَانَ لا يَتَجَاوَزُ عددها أصابعَ اليدين، فأضبحَتْ الفتنُ في كُلِّ بيتٍ، وداخلَ كلِّ حجرة وغرفة، وبين أيدي الناس، وفي طرقاتهم، وانْفَتحت علينا الدنيا من جميعِ زواياها...

فأصبحتْ لا تُشرُق شمسُ يومٍ إلا وتكادُ تُصبحُ على فتنةٍ جديدةٍ لم تسمع الخلائق من قبل بمثلِها، ولربما أذكر تحت هذا العنوان بعضاً منها مع يسير من البيان والتوضيح وذكر طريق الاعتصام منها، بإيجاز سريع لنصل من خلالها إلى بَرِّ الأمان وشاطئ السلامة، عبر قارب العصمة فقد قال الحق تبارك وتعالى:..

"وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ" .

من هذه الفتن وعلى رأسها:

فتنة الدنيا: فقد قال رسول الله ﷺ: "إنَّ الدُنْيا حُلوَةٌ خَضِرَةٌ".

ومعنى حلوة خضرة يحتمل أن المراد به شيئان:

أحدهما: حسنُها للنفوس ونضارتها ولذّتها، كالفاكهة الخضراء الحلوة، فإنَّ النفوس تطلبها طلباً حثيثاً فكذا الدنيا.

والثاني: سرعة فنائها الشيء الأخضر[46].

وقال في الحديث المتفق عليه: "ولكِنْ أخشَى أنْ تُبسَط عليكمُ الدنيا كما بُسِطت على من كان قَبلَكُم، فتنافسُوها كما تنافَسُوها، فتهلِكَكُم كما أهلكتْهُم".

وهذا الذي جرى حتى صار الإنسان يَتَشَوَّف لزهرَة الدنيا وزينتها، من مركبٍ وملبسٍ وفرشٍ وزينةٍ ورفاهيةٍ وتفاخرٍ بكثرةِ ذلك، ويُعرِضُ عما ينفعه في الإخرة[47].

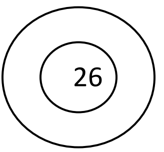
العاصم من هذه الفتنة: قول رسول الله ﷺ: "فاتقوا الدنيا" أي قوموا بما أمركُم الله به، واتركوا ما نهاكم عنه، ولا تغرنكم حلاوة الدنيا ونضرتها[48].

---

46 _ شرح صحيح مسلم للنووي (45/17).

47 _ شرح صحيح مسلم لابن عثيمين (14/8) بتصريف واختصار.

48 _ المرجع السابق (11/8).



النساء: ففي الحديث عن أسامة بن زيد _رضي الله عنهما_ قال: قال رسول الله ﷺ: "ما تركْتُ فتنةً أضَرُّ على الرجالِ من النساءِ"[49].

لذلك نجِدُ أعدائَنا وأعداءَ ديننا _أعداء شريعة الله_ يُركِزون على مسألة النِّساء، وتبرجهُنَّ واختلاطِهنَّ بالرجال، وأصبحتِ النِّساء كأنهن دُمَى، أي صورٌ لا يهتم الناس إلا بشكل المرأة، وكيف يزيِّنُونَها ويُجَمِّلُونها[50].

قال رسول الله ﷺ: " صنفان من أهل النار لم أرهما"... وذكر منهما: "ونساء كاسيات عاريات، مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة المشط المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها وإن ريحها لتوجد من مسيرة كذا وكذا".

ومن صور ذلك خلعُ المرأةِ المسلمة لحجابها فصار وجود العاريات في شوارع المسلمين أمراً مفروغاً منه[51].

حتى أصبحت الملتزمة بحجابها وزيها الشرعي ونقابها كالشعرة البيضاء في جلدِ الثور الأسْوَدُ.

---

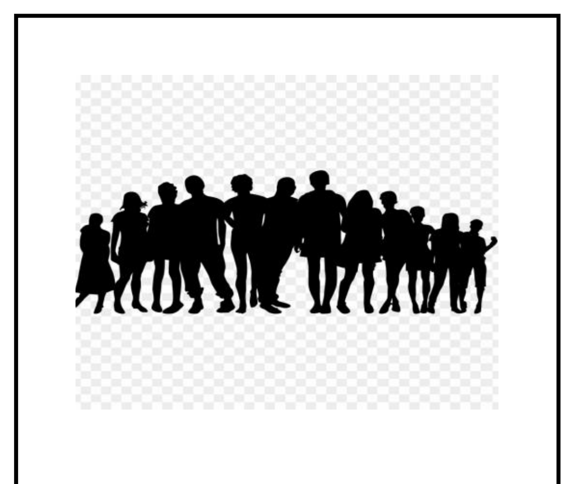
49 _ رواه مسلم.
50 _ شرح صحيح مسلم لابن عثيمين (11/8).
51 _ قصة الالتزام ص:46.

العاصم من هذه الفتنة: قول رسول الله ﷺ: "واتقوا النساء" ومعناه تجنبوا الافتتان بالنساء[52].

فلا بد من سدِّ كلِّ طريق يوجب الفتنة بالمرأة، وأن يكون الناس منها على حذرٍ، لأن الإنسان بشرٌ إذا عُرضتْ عليه الفتن فإنه يُخشى عليه منها[53].

الاختلاط الفاحش: وهذه مقاربةٍ للتي قبلها وتابعةٌ لها، فقد تفشى الاختلاط في المجتمعات الإسلامية بين الرجال والنساء، فزادت الفواحش والمنكرات[54].

وحدِّث عن هذا ولا حَرج، فبنات العَمِّ يصافحن أولادِ أعمامهن، وبنات الخال كذلك، والجيران في الزيارات والمناسبات، والأصدقاء والصديقات في العمل، واختلط الحابل بالنابل، وأصبحت إذا رأيت كثيراً من الرجال مع نساءٍ غريباتٍ لربما ظننت أنه من المحارم لها، فإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون.

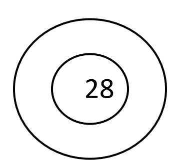


---

[52] _ شرح صحيح مسلم للنووي (45/17).

[53] _ شرح صحيح مسلم لابن عثيمين (9/8) بتصريف شديد.

[54] _ قصة الالتزام ص:46.



وحدِّث عن مفاسد هذا الاختلاط ولا حرج، من مفسدةِ الزنى والفاحشة من زنى العين أو زنى اللسان، أو زنى اليد، والفرج يصدِّق ذلك ويكذبه[55].

فعن عبد الله بن مسعود ﵁ عن النبي ﷺ قال: "المرأة عورةٌ فإذا خرجت استشرفها الشيطان"[56].

"المرأة عورة" أي موصوفة بهذه الصفة، ومن هذه صفته فحقه أن يستر، والعورة سوأة الإنسان وكلُّ ما يستحي منه، فكنى بها عن وجوب الاستتار في حقها[57].

وقيل: أي زيَّنها في نظر الرجال، وقيل: أي نظرَ إليها ليُغويَها ويُغوي بها.

والمعنى: أن المرأة يُستقْبَحُ بُرُوزُها وظُهورُها فإذا خرجت أمعنَ النَّظرَ إليها ليُغوِيَها بغيرِها، ويُغوي غيرَها بها، ليوقِعهُما أو أحدهما في الفتنة، أو يريد بالشيطانِ شيطانُ الإنسِ من أهل الفسق سمَّاه به على التشبيه[58].

[55] _ شرح صحيح مسلم لابن عثيمين (12/8).
[56] _ رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.
[57] _ فيض القدير (346/6).
[58] _ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (374/3).

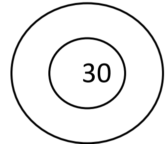
قال المناوي في (فيض القدير)[59]: "استشرفها الشيطان" أي أنَّ أهل الفسق إذا رأوها بارزة طمحوا بأبصارهم نحوها، والاستشراف فعلهم، لكنْ أسند إلى الشيطان لما أشرب في قلوبهم من الفجور، ففعلوا ما فعلوا بإغوائه وتسويله، وكونه الباعث عليه. اهـ

قال الطيبي: والمعنى المتبادر أنها ما دامت في خدرها لم يطمع الشيطان فيها وفي إغواء الناس فإذا خرجت طمع وأطمع لأنها حبائله وأعظم فخوخه[60].

العاصم من هذه الفتنة: بقاء المرأة في بيتها وقيامها على تربية أبنائها هي رسالة المرأة وبقدر التزامها برسالتها وبدينها بقدر نجاحها في هذا الإختبار[61]...

وتلك المهمة التي شغلها عنها أعداء دين الله وشريعتِه، وعدم الخروج إلا للضَّرورَةِ، وعدم العمل إلا لحاجة، فلكي تقلَّ مخالطة النساء جعل النبي ﷺ صلاة المرأة في بيتها أفضلُ من صلاتها في المسجد لكي يصونَها من أعين الرجال...

59 _ (346/6).
60 _ فيض القدير (346/6).
61 _ رياض الصالحات قطوف تربوية من بستان النبوة ص:99.



فعن عبد الله بن مسعود ﵁ عن النبي ﷺ قال: "صلاةُ المرأة في بيتها أفضَلُ من صلاتها في حُجرتها، وصلاتها في مخدعها أفضل من صلاتها في بيتها"[62].

" صلاة المرأة في بيتها" المراد بيتها الداخلي الذي تأوي إليه عند النوم.

"حجرتها" هي صحن الدار التي تكون أبواب البيوت إليها، لأن صلاتها في بيتها أحفظ لها، وأكمل لسترِها[63].

"وصلاتها في مخدعها" وهو البيت الصغير الذي يكون داخل البيت الكبير يُحفظُ فيه الأمتعة النفيسة، من الخدع وهو إخفاء الشيء أي في خزانتها[64].

والحديث دليل على اقتصار المرأة الصلاة في بيتها عن الخروج إلى المسجد رغم الأجر الكبير لصلاة الجماعة[65]، فكيف بالخروج إلى السوق، ومخالطة الرجال، ولربما الحديث معهم لغير ضرورة ولغير الحاجة، التمايع في الكلام لإمالة قلوب الرجال.

62 _ صحيح: رواه أبو داود.
63 _ موقع الدُّرر السَّنيَّة.
64 _ عون المعبود شرح سنن أبي داود (2/208-209).
65 _ مع التنويه على أنه يجوز الخروج للنساء للصلاة في المسجد لأجر الجماعة، وشهود حلق العلم والتفقه في الدين، ما دام الخروج وفق الضوابط الشرعية.

المسلسلات والأفلام والأغاني الساقطة الماجنة: وما فيها من عُرِيِّ الفتيات، وتمايع الشباب، والمزامير المصاحبة، والكلمات الساقطة التي أخلت بالآداب، وأسقطت معالمَ الحياء، ولربما ترى الأبَ والأمَّ وأبنائِهِمَا مجتمعين على مسلسلٍ أو فيلمٍ وتأتي المقاطع الجنسية الفاضحة والكلُ ينظر،



ولربما يعلق الأبُ ويشرح، وعلى إثر التعلق من الشباب والفتيات بالمسلسلات المصرية، والدراما التركية، والأفلام الهندية، كثرت قصص الحبِّ والغرام، والعشق الحرام.

وأكثر المسلسلات تدور حول الحبِّ والعشق بين الشباب والشابات من طلبة الجامعات، وتظهر الاختلاط في النوادي والمنتزهات، لتَعوُّد المشاهدين على هذه المناظر، ويتقبلها على أنها لا بد منها، وإن كانت حراماً[66].

العاصم من هذه الفتنة: وجود إعلامٍ اسلامي هادف، يوصلُ الرسالةَ، ويختصر الحكاية، ويُبَيِّن الزيف، ويفضح العيب، ويسدل

[66] ـ رياض الصالحات قطوف تربوية من بستان النبوة ص:140.

الستار عن محاسن الشريعة، ويسلِّط الضوء على القيم الإسلامية التي تحقق بناء الشخصية الإسلامية المتوازنة[67].

المال: قال النبي ﷺ: "إن هذا المال خَضِرَةٌ حلوة، فمن أخذه في حقه ووضعه في حقه فَنِعْمَ المعونة هو، ومن أخذه بغير حقه كان كالذي يأكل ولا يشبع"[68].



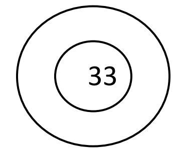
العاصم من هذه الفتنة: إنما يكون المال خيراً إذا أخذه بحقه ووضعه في حقه، وأخذه بحقه أي كسبَهُ من الوجوه المشروعة...

ولم يكسب من طريق حرام، كالربا والرشوة والغش والخداع، والنصبِّ والإحتيال، ولعبِ القمار، ورمي الأموال على الراقصات في حفلات المجون، ووضعه في حقه أي أدى الواجبات وأدى زكاة المال، وأدى النفقات التي أوجبها الله عليه[69].

67 _ نحو إعلام إسلامي ص:21

68 _ رواه مسلم، راجع شرح صحيح مسلم للنووي (115/7).

69 _ منحة الملك الجليل شرح صحيح محمد بن اسماعيل (359/11) بتصريف يسير.

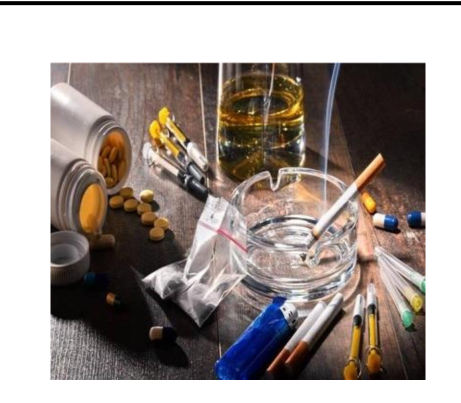


مباريات كرة القدم: وقد أصبحت من أُمِّ الفتن ومنابعها في هذه الأيام، من التعصب سواء كان للفريق أو لشخص اللاعب، ورأينا العجب العجاب في أمة تدَّعي أنها مسلمة، رأينا التشاحن والتباغض والتشاجر لأن الفريق الفلاني كسب، والفريق العلاني في مباراة للكرة[70]...

وما فيها من إضاعة الوقت بغير ما فائدة على المرء، واختلاط الرجال بالنساء والشباب بالفتيات لمشاهدة المباراة من داخل استاند الملعب.

وسنذكر العاصم من هذه الفتنة: بعد ذكر الفتنة التي تليها.

السجائر والمخدرات: التي راح ضحيتها كثير من الشباب في مقتبل العمر، وكان سبب وقوعهم حَبَّةٌ عرضت على الشاب من رفيق السوء، ودخل على هذا الميدان نساءٌ أخريات، حتى سبقنَ كثيراً من الرجال، وبعض النساء لربما باعت عرضها من أجل حبة أترمال _والعياذ بالله_[71].



70 _ قصة الالتزام ص:194.

71 _ حدثني بهذا الكلام شاب تائب من وحلِ المخدرات، وحدثني أيضاً أحد شباب الأمن عن بعض النساء التي تبيع للرجال الحبوب المخدِّرة فهي تعدُّ موزعاً معتمداً في منطقتها، ولا حولَ ولا قوة إلا بالله.

العاصم من هذه الفتنة وسابقتها: قول رسول الله ﷺ: "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ".

وقول رسول الله ﷺ: "اغتنم خمساً قبل خمس:.." وذكر منهم: "صحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك".

الباب الرابع:

التمسك بالسُّنة في زمن الفتن

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "بادروا بالأعمالِ فتناً كقطعِ الليلِ المظلم، يُصبِحُ الرجُل مؤمناً ويُمسِي كافراً، ويُمسِي مُؤمناً ويُصبِحُ كافراً، يَبيعُ دِينَه بِعَرضٍ من الدنيا"[72].

قوله ﷺ: "بادروا بالأعمال فتناً" أي سارعوا إلى الله تبارك وتعالى بالأعمال الصالحة التي بها ستنجون في دنياكم وأخراكم[73].

فتعجلوا بالأعمال الصالحة قبل مجيء الفتن المظلمة من القتلِ والنهبِ والاختلافِ بين المسلمين في أمر الدين والدنيا[74].

لأن الأعمالَ الصالحةِ التي تسبق الفتن تكن حمايةً للإنسان، لأن الله عز وجل لا يخيِّب مَن أقبل عليه وَعَبَدَه[75].

---

[72] _ صحيح: مسلم وأبو داود.

[73] _ من وصايا الرسول ﷺ (571/3).

[74] _ تحفة أحوذي بشرح جامع الترمذي (202/5).

[75] _ شرح صحيح مسلم لابن عثيمين (254/1).

قال النووي _رحمه الله_: معنى الحديث: الحث على المبادرة إلى الأعمال الصالحة قبل تَعَذُّرِها والاشتغال عنها بما يحدث من الفتن الشاغلة والمتكاثرة والمتراكمة كتراكم ظلام الليل المظلم لا المقمر[76].

المراد: الحث على المسارعة بالعمل الصالح قبل تعذره أو تعسره بالشغل عما يحدث من الفتن المتكاثرة والمتراكمة كتراكم ظلام الليل[77].

قال تعالى: "فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ"

عن أبي زيد قال في هذه الآية: فسارعوا في الخيرات[78].

قال القرطبي _رحمه الله_ في قوله تعالى: "وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ"

التي يعملونها مبادرين غير متثاقلين لمعرفتهم بقدر ثوابهم، وقيل: يبادرون بالعمل قبل الفوت[79].

فلله ما أحلى زماناً تَسعَى فيه أقدامُ الطاعةِ على أرض الاشتياق[80].

76 _ شرح صحيح مسلم للنووي(10/2).
77 _ فيض القدير (252/3).
78 _ الدر المنثور نقلاً عن كتاب الموسوعة الأم في تربية الأولاد (727/1).
79 _ تفسير القرطبي نقلاً عن كتاب الموسوعة الأم في تربية الأولاد (727/1).
80 _ الفوائد ص:113.

قال ذو النون المصري _ رحمه الله _ : ثلاثة من أعلام العبادة: حبٌّ الليل للسهر بالتهجد والخلوة، وكراهة الصبح لرؤية الناس والغفلة، والبدار بالصالحات مخافة الفتن[81].

كان كردوس يقول: إن الجنة لا تُنال إلا بعمل، أخلصوا الرغبة بالرهبة، دوموا على صالح الأعمال، ألقوا الله بقلوب سليمة، وأعمال صادقة[82].

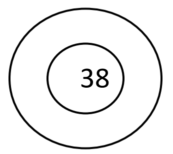
ولا يفوتني أن أنبه وأحذر من الفتن التي أمر النبي ﷺ أن نبتدر الأعمال الصالحة قبل قدومها ومجيئها بل وهجومها على الإنسان، وقد أشفق الأولون منها، وحذَّرُوا من التعرض لها...

فكان حذيفة بن اليمان ؓ يقول: إيَّاكم والفتن، لا يَشْخَصٌ إليها أحد، فوالله ما شخص فيها أحد إلا نسفتْه كما يَنسِفُ السيلُ الدِّمَنَ[83].

وهذا عمار بن ياسر كان يقول: أعوذ بالله من الفتن.

قال ابن حجر _رحمه الله_ في الفتح[84]: فيه دليل استحباب الاستعاذة من الفتن، ولو علم المرء أنه متمسك فيها بالحق، لأنها قد تُفضي إلى وقوع ما لا يرى وقوعه.

81 _ وجنتك المحراب ص:103.
82 _ هيا بنا نؤمن ساعة ص:102.
83 _ العوائق ص:26.
84 _ نقلاً عن كتاب العوائق ص:91.



ولله دَرُّ الذي قال: الرحمة الحقيقية هي النجاح في الاختبار، واجتياز فتن الدنيا مع سلامة الدين[85].

مثال هذه الفتن...

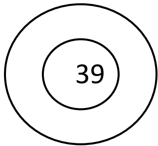
"كقطع الليل المظلم" جَمْعُ قِطْعَة: قِطَع، من حيث إنها شاعت ولا يُعرفُ سببها، ولا طريقٌ للخلاص منها، وأراد فتنة مظلمة سوداء تعظيماً لشأنها[86].

قال الطيبي رحمه الله: يريد بذلك التباسها وفظاعَتَهَا وشُيوعَهَا واستمرارها[87].

ويعني أنها مُدْلَهِمة مظلمة لا يُرى فيها النور والعياذ بالله، ولا يدري الإنسان أين يذهب، يكون حائراً، ما يدري أين المخراج، أسأل الله أن يُعيذَنا وإياكم من الفتن[88].

"يبيع دينه بعرض من الدنيا" لا تظن أن العرض من الدنيا هو المال، بل كل ما في الدنيا من متاع عرض، سواء مال أو جاه أو رئاسة، أو نساء أو غير ذلك[89].

85 _ هنيئاً لمن عرف ربه ص:22.
86 _ عون المعبود شرح سنن أبي داود (267/11).
87 _ تحفة أحوذي بشرح جامع الترمذي (204/5).
88 _ قبس صحيح من وصايا الرسول ﷺ ص:245.
89 _ المرجع السابق ص:246.



قال تعالى: "تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ"[90].

فكيف تبيع الدِّين الذي به سعادتك في الدنيا والآخرة بعرض من الدنيا؟[91].

ثواب المتمسك بالدِّين في زمان الفتن...

عن ابن مسعود ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن من ورائكم زمان صبرٍ، للمتمسِّك فيه أجرُ خمسين شهيداً منكم"[92].

عن عتبة بن غزوان ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: "إن من ورائكم أيام الصبرِ، للمتمسِّك فيهن يومئذٍ بما أنتم عليه، أجرُ خمسين منكم"، قالوا: يا نبيَّ، أو منهم؟ قال: "بل منكم"[93].

قال رسول الله ﷺ: "إن من ورائكم أيام الصبر، الصبر فيه مثل القبض على الجمر، للعامل فيهم أجر خمسين رجلاً يعملون مثل عمله"، قيل يا رسول الله: أجر خمسين منهم؟ قال: "أجر خمسين منكم"[94].

---

[90] _ سورة النساء الآية:94.

[91] _ شرح صحيح مسلم لابن عثيمين (255/1).

[92] _ إسناده صحيح: أخرجه عبد الرزاق في (المصنف)، والطبرابي في (معجمه)، راجع كتاب فرسان النهار (599/1).

[93] _ صحيح: رواه الطبراني في (الكبير)، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: (إسناده صحيح)، راجع كتاب فرسان النهار (599/1).

[94] صحيح: رواه ابن ماجة وصححه العلامة الألباني، راجع كتاب مجموع الرسائل الإيمانية ص:409..

كان أبو العباس بن عطاء _رحمه الله_ يقول: من ألزمَ نفسه بآداب السُّنة عَمَّرَ اللهُ قلبَهُ بنورِ المعرفةِ، ولا مقام أشرف من متابعة الحبيب في أوامره، وأفعاله، وأخلاقه، والتأدب بآدابه.

قال عمر بن عبد العزيز _رحمه الله_: فعليك بلزوم السُّنة، فإنها لك بإذن الله عصمة[95].

وقال الزهري _رحمه الله_:

الاعتصام بالسُّنة نجاة[96].

وقال مالك _رحمه الله_:

السُّنّة كسفينة نوح،

من ركبها نجا،

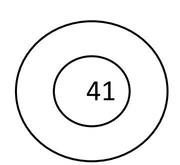
ومن تخلَّفَ عنها هلك[97].

---

[95] _ مجموع الرسائل الإيمانية ص:371.

[96] _ المرجع نفسه الصفحة نفسها.

[97] _ المرجع نفسه الصفحة نفسها.



الباب الخامس:

الالتزام بين الظاهر والباطن

مدخل لهذا الباب:

التعبد لله باسمه الظاهر والباطن...

اسم الله الظاهر والمقصود أن التعبد باسمه الظاهر يجمع القلب على المعبود، ويجعل له رباً يقصده، وصمَداً يصمد إليه في حوائجه، وملجأ يلجأ إليه، فإذا استقر ذلك في قلبه وعرف ربه باسمه الظاهر استقامت له عبوديته، وصار له معقل وموئل يلجأ إليه، ويهرب إليه، ويفر في كل وقت إليه[98].

اسم الله الباطن أما التعبد باسمه الباطن: فهو التعبد بخالص المحبة، وصفوة الوداد، وأن يكون الإله أقرب إليه من كل شيء، وأقرب إليه من نفسه، مع كونه ظاهراً فوق كل شيء، فإذا شهدت إحاطته بالعوالم وقرب العبيد منه، وظهور البواطن له، وبُدُوِّ السرائر له، وأنه لا

[98] _ طريق الهجرتين وباب السعادتين ص:23.

شيء بينه وبينها، فعامله بمقتضى هذا الشهود، وطهِّر له سريرتك، فإنها عنده علانية، وأصلح له غيبك فإنه عنده شهادة، وزكِّ له باطنكَ فإنه عنده ظاهر[99].

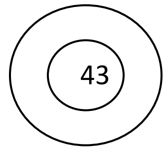
وخذ عندك بعين الاعتبار...

أنَّ الذي يقنع الناس بالالتزام الجوهر لا المظهر، فإن بعض الشباب الملتزم يخطئ في فهمه للالتزام على أنه التزام بالشكل بالدرجة الأولى فقط (كإطلاق اللحية، ولبس العمامة، أو جلباب أبيضَ قصير)، في الوقت الذي يتهاون فيه مع حسن معاملته مع الآخرين، والتفاعل مع الناس بصورة سمحة وحكيمة ومقنعة[100].

فصار الالتزام عند الكثير من الناس مجرد ظواهر تُلتزم، وصارت العباداتُ مجرد حركات تُؤدى، مع غياب معاني الإيمان والتقوى عن القلب[101].

كأن الالتزام صارَ مفهومُهُ التقيُّد بصورة معنية في المظهر، ولا أثر لهذا الالتزام في الجوهر والمَخبَر!؟... فما حقيقة إيمانك[102].

[99] أسماء الله الحسنى جلالها ولطائف اقترانها وثمراتها ص:205.
[100] في حب الصحابة ص:97 .
[101] مجموع الرسائل الإيمانية ص:391.
[102] قصة الالتزام ص:43.



فالحجاب عند كثير من الفتيات صار بملابس ذات الألوان الزاهية، وتفنن في شكل الخمار والنقاب، ونسمع من يقول: الحمد لله أنها أنها تحجبت بأي شكل وبأي صورة، أليس هذا أفضل من التعري والتبرج السافل؟![103].

وإطالة الشعر بحجة أنه سُنَّةٌ، بينما تراه يلبس البنطال (الكابوي) والقميص القصير (التي شيرت)[104].

وتراه يطيلُ لحيته ويقول أنها سنةٌ وهو يختبئ خلف ستارها ليكذب على الناس فتصدقه لأنه إنسان ملتَحٍ.

وتراه من أصحاب الصفِّ الأول في الصلاة، وله في كلِّ أسبوعٍ ختمةً وهو يأكل حقَّ أخواته من الميراث.

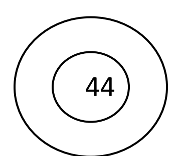
ولربما كان خارجَ البيت من أصحاب الذوق الرفيع، والكلام الطيب الجميل، ولكن

إذا دخل إلى بيته انقلب البيتُ رأساً على عقب، فاستيقظ النائم، قام القاعد،

وحزن الفرِح، ودارت المعارك بالكلام البذيء بينه وبين أهلِ بيته، حتى كأنه في معركة

أوشك التاريخ أن يسجلَ أحداثها بدلاً من معركة اليرموك أو القادسية.

[103] _ قصة الالتزام ص:72_73 بتصريف بسيط.
[104] _ المرجع السابق ص:74



أقول لكلِّ هؤلاء مهلاً...

فلم يأت الإسلام لإصلاح البواطن دون الظواهر، إنما عني بإصلاح الأمرين كليهما، والسبب في هذا واضح جداً لمن له عناية خاصة بتتبع كثير من الأحكام الشرعية التي تنص على ارتباط الباطن بالظاهر، وارتباط الظاهر بالباطن[105].

قال صاحب الإحياء: فإنَّ آداب الظواهر عنوان آداب البواطن، وحركات الجوارح ثمرات الخواطر، والأعمال نتيجة الأخلاق، والآداب رشح المعارف، وسرائر القلوب هي مغارس الأفعال ومنابعها، وأنوار السرائر هي التي تشرق على الظواهر فتزينها وتجليها، وتبدل بالمحاسن مكارهها مساويها، ومن لم يكن صدره مشكاة الأنوار الإلهية لم يفض على ظاهره جمال الآداب النبوية[106].

قال المولى تبارك وتعالى: "يا بني آدمَ قدْ أنْزَلنَا عَليْكُم لبَاساً يُوارِي سَوءاتِكُم وريشاً ولبَاسُ التقوى ذلك خيرٌ".

فجمع بين الزينتين: زينة البدن باللباس، وزينة القلب بالتقوى، زينة الظاهر والباطن، وجمال الظاهر والباطن[107].

---

[105] _ الفتاوى المهمة للشيخ الألباني ص:108.
[106] _ إحياء علوم الدين (382/2).
[107] _ إغاثة اللهفان في مصائب الشيطان (123/1).

فإنْ كان طهارة القلب مأمور بها، فطهارة الثوب وطيب مكسبه تكميل لذلك، فإن الملابسة الظاهرة تسري إلى الباطن[108].

فليس الالتزام يعني أن تخلع ثياب الكفار وترتدي ثياباً تتناسب مع شرع الله فقط؟[109].

قال بعض السلف _رحمه الله_: كم من مبيض لثيابه مدنس لدينه[110].

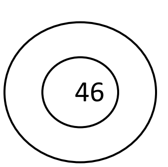
قال وهيب بن الورد _رحمه الله_: اتق الله أن تسُبَّ إبليس في العلانية، وأنت صديقه في السر[111].

فثمة آفات خفية وظاهرةٌ وراء هذا الحَيدِ عن جادة الطريق[112].

قال محمد بن داود الدينوري: سمعت أبا محمد الحريري يقول: أمرنا هذا كله مجموع على فصل واحد، وهو أن تُلزم قلبك المراقبة، ويكون العلم على ظاهرك قائماً[113].

فتصرف الشخص وسلوكه هو الذي يحكم عليه[114].

[108] _ إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان (1/116-117).
[109] _ قصة الالتزام ص:44.
[110] _ مجموع الرسائل الإيمانية ص:88
[111] _ الحلية نقلاً عن كتاب الموسوعة الأم في تربية الأولاد (1/535).
[112] _ قصة الالتزام ص:44.
[113] _ صفة الصفوة (2/572).
[114] _ في حب الصحابة ص:124.



عن النعمان بن بشير _رضي الله عنهما_ أن النبي ﷺ قال: "لَتُسَوُّنَّ صفوفكم أو ليخالِفَن الله بين وجوهكم"[115].

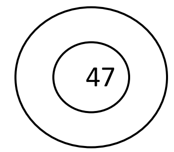
قال القرطبي: معناه: تفترقون فيأخذ كل واحد وجهاً غير الذي أخذ صاحبه، لأن تقدم الشخص على غيره مظنة الكبر المفسد للقلب الداعي إلى القطيعة[116].

فالاختلاف في تسوية الصف أمر ظاهري، اعتبره الشارع الحكيم سبباً لاختلاف القلوب، فالظاهر مرتبط بالباطن[117].

جاء رجل إلى ابن سيرين فقال: رأيت في المنام كأني أؤذِّن؟ فقال له: تحجُّ بيتَ الله الحرام، ثم أتاه آخر فقال: رأيت كأني أؤذن؟ فقال: تقطع يدك، فقيل له: كيف فرَّقت بينهما؟ قال: رأيت للأول سيماً حسنة فأولت بقول الله: "وأذِّنْ فِي النَاسِ بالحَجِّ"، ورأيت للثاني سيماً غير صالحة فأولت: "ثمَّ أذَّنَ مؤذِّنٌ أيتُها العِير إنَّكُم لسارِقُون"[118].

فانظر رعاك الله كيف استدل في تفسير الرؤية بِسَمتِ كل واحد منهما وكان لكل واحد تأويله، فمن كان سَمتُه حسنةٌ فتأويل رؤياه حسنةٌ وإلى خيرٍ، ومن كان سمته غير ذلك فلا يلومَنَّ إلا نفسه.

115 - رواه أبو داود وصححه الترمذي.
116 - نقلاً عن كتاب صلاة الجماعة آداب وأحكام ص:214.
117 _ الفتاوى المهمة للشيخ الألباني ص:108.
118 _ بستان العلماء وروضة الحكماء واللطفاء ص:348.



الباب السادس:

قل آمنت بالله ثم استقم

بادئ ذي بدءٍ تعالوا بنا لنتعرف على معنى الاستقامة لنعرف ما هو المقصود بها وليكون لنا مدخلاً ندخل منه لهذا الباب.

فقد قال الإمام النووي _رحمه الله_ في كتابه (رياض الصالحين):

قال العلماء: معنى الاستقامة: لزوم طاعة الله تعالى، قالوا: وهي من جوامع الكَلِم، وهي نظام الأمور[119].

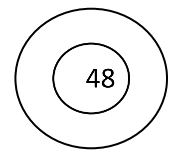
قال السيد الشريف _رحمه الله_: وفي اصطلاح أهل الحقيقة: هي الوفاء بالعهود كلها، وملازمة الصراط المستقيم برعاية حد التوسط في كل الأمور من الطعام والشراب واللباس، وفي كل أمر ديني ودنيوي.

وقال بعضهم: الاستقامة هي مرور العبد في طريق العبودية بإرشاد الشرع والعقل[120].

قال الشيخ ابن عثيمين _رحمه الله_: والاستقامة: لزوم الصراط المستقيم، صراط الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصِدِّيقين

[119] _ رياض الصالحين ص:44.

[120] _ أيها الولد للإمام الغزالي تحقيق وتعليق الشيخ علي القرة داغي ص:131 الحاشية.



والشهداء والصالحين، ومتى بنى الإنسان حياته على هاتين الكلمتين فهو سعيد في الدنيا والآخرة[121].

إذاً فالاستقامة كلمةٌ جامعة، آخِذةٌ بمجامع الدِّين، وهي القيام بين يدي الله على حقيقةِ الصِّدق، والوفاء بالعهد[122].

والاستقامة تتعلق بالأقوال، والأفعال، والأحوال، والنيات، فالاستقامة فيها: وقوعها لله، وبالله، وعلى أمر الله[123].

وتعبيرُ النبي ﷺ بالاستقامة أكثرُ دلالةً من تعبيرنا نحن اليوم بالالتزام.

اللطائف النورانية على الأربعين النووية ص:182.

فاستقام يعني: صار له وصف الإقامة مبالغاً فيه، يعني: كثيراً، بحيث أنه لزمه، ولم يتغير عنه، ولم يتبدل عنه[124].

121 _ شرح الأربعين النووية ص:178.
122 _ صلاح الأمة في علو الهمة (684/6).
123 _ مدارج السالكين (88/2).
124 _ شرح الأربعين النووية ص:179.

فالاستقامة روح تحيا به الأحوال، وزكاة تربو عليها الأعمال، فلا زكاة للعمل، ولا صحة للحال بدونها[125].

وقد أمر الله تعالى نبِيَّه ﷺ أن يستقيم على أمره تعالى، وهذا الأمر للنبي ﷺ ولأمته من بعدِه، فقد قال تعالى في محكم التنزيل...

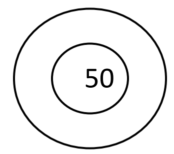
"فاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تابَ مَعَك"

أولاً: "فاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ"

قال ابن عباس _رضي الله عنهما_: ما نزل على رسول الله ﷺ في جميع القرآن آية كانت أشدَّ ولا أشقَّ عليه من هذه الآية[126].

وكانت شدة الالتزام بكمال الامتثال من النبي ﷺ في هذه السورة وغيرها داعية إلى مشيبه ﷺ، فقد قال في الحديث الذي رواه الترمذي: "شيبتني هود والواقعة وأخواتها"[127].

[125] _ صلاح الأمة في علو الهمة (683/6).
[126] _ شرح الأربعين النووية لابن العطار ص:122.
[127] _ المائة الثانية من وصايا الرسول ﷺ (533/2).



قال الحسن _رحمه الله_: لما نزلت هذه الآية شَمَّرَ رسولُ الله ﷺ فما رؤي ضاحكاً[128].

قال القشيري _رحمه الله_:

حقيقة الاستقامة

وحقيقة الاستقامة على الطاعة المداومة على القيام بحقها من غير اخلالٍ بها، فلا يكون في سلوك نهج الوفاق انحراف عنه.

فيقال: المستقيم من لا ينصرف عن طريقه، يواصل سيره بمسراه، وورعه وتقواه، ويتابع في ترك هواه.

ويقال: استقامة النفوس في نفيِ الزَّلَّة، واستقامة القلوب في نفي الغفلة، واستقامة الأرواح بنفي العلاقة، واستقامة الأسرار بنفي الملاحظة.

استقامة العابدين ألَّا يدَّخِرُوا نفوسَهُم عن العبادة وألَّا يَخِلُوا بأدائها، ويقضون عسيرَها ويَسيرَها.

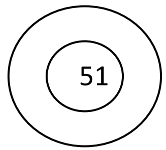
واستقامة الزاهدين ألا يرجوا من دنياهم قليلها ولا كثيرها.

واستقامة التائبين ألّا يُلِمُّوا بعقوةِ زلةٍ فَيَدَعونَ صغيرها وكبيرها[129].

---

[128] _ جامع العلوم والحكم ص:227/ اللطائف النورانية على الأربعين النووية ص:184.

[129] _ تفسير القشيري (2/60_61).



وفي التعبير بالصراط دون الطريق أو السبيل، مع أن المعنى واحد، ليكُونَ مذَكِّراً بصراطِ يومِ القيامةِ الممدود على جهنَّم[130].

ولم يُذْكَر الصراط في القرآن إلا مفرداً مُعَرَّفاً، ذلك يدل على أنَّه صراط واحد، على خلاف طُرُق أهل الضلال، فإنها تأتي متعددة لأنهم ليسوا على طريق واحد، بل على طرق متفرقة، متنافرة، متباعدة، لا تؤدي إلى خير أبداً[131].

ووصف الله تعالى الصراط بأنه (مستقيم) لأن الخط المستقيم أقصر طريق بين نقطتين[132].

قال بن جرير _رحمه الله_: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعاً على أن "الصراطَ المُسْتَقيم" هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه[133].

ويستعار لكلِّ قول أو عمل، يبلغ به صاحبه الغاية الحميدة، فالطريق الواضح للحسِّ كالحق للعقل، في أنه إذا سير بهما أبلغا السالك النهاية الحسنى[134].

[130] _ سلسلة طعم الإيمان (190/2).
[131] _ المرجع السابق (191/2).
[132] _ المرجع السابق (188/2).
[133] _ تفسير ابن كثير (90/1)/ فتح القدير (23/1).
[134] _ تفسير القاسمي (256/1).

ولأجل عُسرِ الاستقامة أُمِرَ العبدُ أن يقول كل يوم مرات "اهْدِنَا الصراطَ المُسْتَقِيم" ومن لم يقدر على الاستقامة فليجتهد على القرب من الاستقامة فإنَّ النجاةَ بالعمل الصالح[135].

فالاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض، ولكن ينبغي أن يجتهد الإنسان في القرب من الاستقامة إن لم يقدر على حقيقتها[136].

في حال التقصير

ولربما يُقَصِّر الإنسان في الاستقامة فما الذي عليه، الجواب من ربِّ الأرباب فقد قال في محكم الكتاب: "فاسْتَقِيمُوا إليْه واسْتَغْفِرُوه" إشارة إلى أنه لا بد من تقصير في الاستقامة المأمور بها ولا ينافيها[137]، لكن ينبغي أن يُجبر ذلك بالاستغفار المقتضي للتوبة والرجوع إلى الاستقامة[138].

135 _ مختصر منهاج القاصدين ص:167.
136 _ إحياء علوم الدين (21/3).
137 _ اللطائف النورانية على الأربعين النووية ص:183.
138 _ جامع العلوم والحكم ص:227.

واعلم أنه...

على قدر ثُبوتِ قدمِ العبدِ وسيرهِ على الصراطِ المستقيم في الدنيا، يكون ثبوتُ قدمِهِ وسيرِهِ على صراطِ يومِ القيامة[139].
فإذا علم العبدُ هذا بقيَ على حذرٍ وخشيةٍ، وخوفٍ من الله تعالى[140].

ثم قال الله:

"وَمَنْ تابَ مَعَكَ"

قال ابن قدامة المقدسي: فإن أرفعَ درجاتِ التائبين... تائب يستقيم على التوبة إلى آخر عمره، ويتداركُ ما فرَّطَ من أمره، ولا يُحَدِّثُ نفسَهُ بالعودةِ إلى ذنوبه، إلا الزلات التي لا ينفكُ عنها البشر في العادات، فهذه هي الاستقامةُ في التوبة، وصاحبها هو السابقُ بالخيراتِ بإذن الله[141].

---
[139] _ سلسلة طعم الإيمان (190/2).
[140] _ المرجع السابق (190/2).
[141] _ مختصر منهاج القاصدين ص:286.

قال تعالى: "إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا"[142].

قال الزهري _رحمه الله_: تلا عمر بن الخطاب ﷺ هذه الآية على المنبر ثم قال: الاستقامة أن تستقيم على الأمر والنهي ولا تَرُوغَ روغان الثعلب[143].

قال القاضي عياض _رحمه الله_: أي حدود الله وآمنوا به، ثم استقاموا فلم يحيدوا عن التوحيد، والتزموا طاعته تعالى إلى أن تُوُفُّوا على ذلك[144].

ويا لله ما أحلى استقامة أبي سفيان من يوم إسلامه إلى يوم وفاته وهو يصف لنا ايام حياته الجميلة وهو على طريق الاستقامة، فيقول وهو على فراش الموت...

عن أبي اسحاق السبيعي _رحمه الله_ قال: لما احتضر أبو سفيان بن الحارث قال: لا تبكوا عليَّ فإني لم أتنطف[145] بخطيئة منذ أسلمتُ[146].

---

[142] سورة فصلت الآية: 30.
[143] _ صحيح وصايا الرسول ﷺ (72/1)/ المائة الثانية من وصايا الرسول ﷺ (536/2).
[144] _ رسالة المسترشدين تحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غدة ص:189 الهامش.
[145] _ أتنطف: أي لم أتلطخ.
[146] _ الطبقات لابن سعد، نقلاً عن كتاب أصحاب الرسول ﷺ (57/2).

وهذا عبد الله بن سلام ﷺ يرى رؤيا تدل على حسن استقامته والتزامه وثباته على الإسلام فقصها على رسول الله ﷺ ليعبرَهَا له، فيا لها من رؤية ويا له من تعبير...

فعن محمد بن سيرين، عن قيس بن عباد_رحمه الله_ قال: كنت في مسجد المدينة جالساً، فدخلَ رجلٌ على وجهه أثر خشوعٍ، فقالوا: هذا رجل من أهل الجنة، فقال: سبحان الله، ما ينبغي لأحد أن يقول لأحد ما لا يعلم، وسأحدثك عن ذلك: رأيت على عهد رسول الله ﷺ رؤيا فقصَصتُها عليه: رأيت كأني في روضةٍ فذكرَ من خُضرَتِها وسَعتِها ما شاء الله، في وسطها عمودٌ حديد في أعلاه عروة، فقيل لي: إرقه، فلم أستطع أن أرق، فجمعت ثيابي من خلفي فرَقَيتُ حتى صرتُ في أعلاها، فأخذتُ العُروة فقيلَ لي: استمسك، فاستيقظت فقصصتها على رسول الله ﷺ، فقال: "أما العروة فالإسلام، وأما العمود فعمود الإسلام، أما العُروَةُ فالعُروةُ الوثقى، فأنت على الإسلام حتى تموت"[147].

الكرماني _رحمه الله_ يعلِّق فيقول: يحتمل أن يُرادَ بالروضَةِ جميع ما يتعلق بالدين، والعمود الأركان الخمسة، وبالعُروَة الوثقى الدين...

[147] _ دلائل النبوة (28/7).

وفي التوضيح: العمود دال على كل ما يعتمدُ عليه كالقرآن والسنن والفقه في الدين، وكذلك العروة الاسلام والتوحيد وهي العروة الوثقى[148].

وقال تعالى: "وأَنَّ هَذا صِراطِي مُسْتَقِيماً فاتَّبِعُوهُ ولا تَتَّبِعُوا السُبُلَ".

قال الأستاذ محمد قطب _رحمه الله_: والنداء موجه إلى الأمة كلها للخروج من التيه والعودة إلى الطريق، ولكنه موجّه بصفة خاصة إلى شباب الصحوة[149].

حتى لا يتبعوا السراب، ويضِلوُا عن سواء الصِراط، فيخرجوا من وصف عباد الرحمن، ويندرجوا في قائمة حزب الشيطان، "ألا إنَّ حزبَ الشَيْطَانِ هم الخَاسِرون".

عن أبي عمرو –وقيل أبي عَمْرَةَ_ سفيان بن عبد الله ﷺ قال: قلت: يا رسول الله قل لي في الإسلام قولاً لا أسألُ عنه أحداً غيرك، قال: "قل: آمنت بالله ثم استقم"[150].

فقد أمر النبي ﷺ السائل أن يستقيم على عمل الطاعات، والانتهاء عن جميع المخالفات إذ لا تأتي الاستقامة مع شيء من الاعوجاج فإنها ضِدَّهُ[151].

---

[148] _ دلائل النبوة (28/7_29) الهامش.
[149] _ هلم نخرج من ظلمات التيه ص:9 باختصار شديد.
[150] _ صحيح: رواه مسلم.
[151] _ دليل الفالحين شرح رياض الصالحين (245/1).

قـال ابـن رجـب _رحمـه الله_ فـي كتابـه (جـامع العلـوم والحكـم):

والاستقامة في سلوك الصراط المستقيم، هو الدين القويم من غير تعوجٍ عنه يمنة ولا يسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها كذلك، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها[152].

قال العلامة السعدي _رحمه الله_: وفيه الانقياد والاستسلام لله باطناً وظاهراً، ثم الدوام على ذلك، والاستقامة عليه إلى الممات[153].

لذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية _رحمه الله_: أعظم الكرامة لزوم الاستقامة[154].

وقـال أيضـاً _رحمـه الله_: اسـتقاموا على محبتـه وعبوديتـه، فلـم يلتفتـوا عنـه يمنة ولا يسرة[155].

وعلى العبد أن يعلم أن الطريق تحتاج إلى صبر في البداية حتى يذهب ألم المكابدة، فتستقيم نفسُهُ على الطريق حتى يصل.

مجموع الرسائل الإيمانية ص:94.

152 _ جامع العلوم والحكم ص:227.
153 _ شرح الأربعين النووية ص:177.
154 _ تهذيب مدارج السالكين لعبد المنعم الغزي نقلاً عن كتاب: صحيح وصايا الرسول ﷺ (75/1).
155 _ مدارج السالكين (87/2).

وكان وهب بن منبه _رحمه الله_ يقول: مرَّ رجلٌ عابدٌ على رجلٍ عابدٍ فقال: ما لك؟ قال: أعجب من فلان أن كانَ قد بلغ في عبادته فمالت به الدنيا؟!! فقال: لا تعجب ممن تميل به، ولكن اعجب ممن استقام[156].

قال أبو القاسم القشيري _رحمه الله_: الاستقامة درجة بها كمال الأمور وتمامها، وبوجودها حصول الخيرات ونظامها، ومن لم يكن مستقيماً في حاله ضاع عمله، وخاب جده

شرح الأربعين النووية ص:177.

وهذا دليل على أهمية الاستقامة على دين الله، بأن يكون الإنسان ثابتاً لا يزيد ولا ينقص، ولا يُبدِّل ولا يُغيِّر[157].

قال محمد بن المنكدر _رحمه الله_: كابدت نفسي أربعين سنة حتى استقامت[158].

إذاً فالاستقامة: ثباتٌ وانتصارٌ ورجولةٌ وفوزٌ في معركة الطاعاتِ والأهواءِ[159].

156 _ هيا بنا نؤمن ساعة ص:86.
157 _ شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (299/1).
158 _ المشوق إلى القرآن ص:52.
159 _ اللطائف النورانية على الأربعين النووية ص:183.

الباب السابع:

الانصياع والانقياد لأوامر الله ورسوله ﷺ

"يا أيُّها الذين أمنوا أطِيعُوا الله وأطِيعُوا الرسُول"

وهذا باب مهم من أبواب حقيقة الالتزام لا يلتفت إليه كثير من الدعاة إلا من رحم الله، ولا يلتفت له كثير من الشباب الملتزم، كما لا يتنبه له كثير من الناس.

والانصياع والانقياد والامتثال لأوامر الله تعالى وأوامر رسوله إما أن يكون طوعاً أو كرهاً

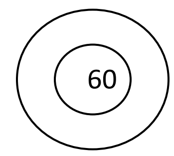
وطوعاً يكون من باب المحبة بالقيام للأمر، وكرهاً يكون القيام بالأمر من دون إرادة قلبية، ولا محبة طوعية.

وللمحبة أول ووسط وآخر:

فأولها: محبة الله بالأيادي والمنن[160]، لأن القلوب مجبولة على حب من أحسنَ إليها كما قال ابن مسعود رضي الله عنه، ومن أحسنُ من الله عهداً ورحمةً ورأفة وتجاوزاً وكراماً واحساناً[161].

[160] _ أي بالنعم.

[161] _ رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي تحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غدة ص:245.



ومحبة الله عز وجل تكمن في إيثار الطاعة على المعصية[162].

ووسطها: الامتثال لأوامره، واجتناب نواهيه، بحيث لا يفقِدك حيث أمرك، ولا يجدُكَ فيما نهاك عنه.

وأعلاها: المحبة لوُجوب حق الله عز وجل، قال علي بن الفضيل _رحمه الله_: إنما يُحَبُّ الله عز وجل لأنه هو الله[163].

قال ذو النون المصري _رحمه الله_: من علامة جب الله متابعة حبيب الله ﷺ في أخلاقه وأفعاله وهديه وسُنَّته[164].

لو قلت: وهل الالتزام إلا امتثال وانقياد وانصياع العبد لأوامر الله تعالى وأوامر رسوله ﷺ لاختصرت بهذه الجملة الكتاب كله.

فاحذر أن يكون إيمانك بالله وتديُّنك له (عقلانياً)، لا يتعدى إلاَّ إلى تنفيذ ما قبله عقلُك من أوامره ونواهيه، فالعقل تبع للشرع الصحيح _لا عكسه_ في كل أمر أو نهي عنه، عَقَلْته أو لم تعقِله، في حين أن ما صحَّ عن الشرع لا يخالف العقل السليم الحصيف.

رسالة المسترشدين ص:230.

[162] _ رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي تحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غدة ص:244.
[163] _ المرجع السابق ص:245.
[164] _ مجموع الرسائل الإيمانية ص:371.

عن ابن عباس _رضي الله عنهما_ قال: لما نزلت هذه الآية:

"وإن تبدوا ما في أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله"

قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء، فقال ﷺ:

"قولوا: سمعنا وأطعنا وسَلَّمنا" قال: فألقى الله الإيمانَ في قلوبهم،

فأنزل الله تعالى: "لا يكلف الله نفساً إلا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت

ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا"

قال: "قد فعلت"، "ربنا ولا تحمل علينا إصراً كما حملته على الذين

من قبلنا"

قال: "قد فعلت"، "واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا"[165].

وهذا من صدق اليقين وصحتة، قال الحارث المحاسبي في كتابه (رسالة المسترشدين)[166]:وصحة اليقين في ثلاثة أشياء: سكون القلب إلى الثقة بالله، والانقياد لأمر الله، والإشفاق والوجل من سابق العلم. اهـ

[165] _ رواه مسلم، راجع كتاب القلوب وآفاتها ص:64.
[166] _ تحقيق الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، ص:240.

وتعالوا بنا لنأخذ جولةً ماتعةً في بستان الانقياد المباشر، والانصياع التام، والالتزام الفوري.

وسأبدأ أولاً بذكر قصص النساء اللاتي ضربنَ أروعَ الأمثلة في باب الامتثال المباشر، فقد سبقن في هذا الميدان سَبْقاً جميلا، فسطعت شمسهن، ولمعَ نجمهن، وظهرَ قمرهن، وتزين التاريخ وبذكر سيرتهِن، ولله ذر من قال:

ولو أنَّ النساء كمن عرفن لفضلت النساء على الرجال
وما التأنيثُ لاسْمِ الشمس عيب وما التذكِيرُ فخرٌ للهلال

القصة الأولى:

فهذه امرأة أراد رسول الله ﷺ أن يزوجها من جليبيب الذي لا لديه مال ولا جمال بل هو دميم الخلقة وكاسد اليدين فقير، وحين سمع أبويها الخبر رفضا رفضاً قاطعاً، بينما هي استجابة لما أراده رسول الله ﷺ.

قال تعالى: "وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ".

فعن أبي برزة الأسلمي: أن جليبيباً كان امرأً من الأنصار وكان أصحاب النبي ﷺ إذا كان لأحدهم أيِّم _أي فتاة_ لم يزوجها حتى يُعلمَ النبيَّ ﷺ: هل له فيها حاجة أم لا؟

فقال رسول الله ﷺ ذات يوم لرجل من الأنصار: "يا فلان زوجني ابنتك" قال: نعم، ونعمة عين، قال: "إني لستُ لنفسي أريدها" قال: لمن؟ قال: "لجليبيب" قال: يا رسول الله حتى أستأمرَ أمّها.

فأتاها فقال: إن رسولَ الله ﷺ يَخْطِبُ ابنتكِ، قالت: نعم ونعمة عين، زوِّج رسول الله ﷺ، قال: إنه ليس لنَفسِه يريدُها، قالت: لمن؟ قال: لجليبيب، قالت: لا لعمر الله لا أزوِّج جليبيباً.

فلما قام أبوها ليأتِ النبي ﷺ قالت الفتاة من خدرِها لأبويها: من خطبني إليكما؟ قالا: رسولَ الله ﷺ.

قالت: أفتردون على رسول الله ﷺ أمره؟ ادفعوني إلى رسول الله، فإنه لن يضيعني...

فذهب أبوها إلى النبي ﷺ فقال: شأنك بها، فزوجها جليبيباً.

وفي رواية للبزار: "فكأنما حَلَّت عن أبويها عقالاً".

قال اسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة ثابت: أتدري ما دعا لها النبي ﷺ؟

قال: وما دعا لها به النبي ﷺ؟

قال: "اللهم صُبَّ عليها الخير صباً ولا تجعل عيشها كَدَّاً كَدَّاً".

قال ثابت: "فما في الأنصار أيّم أنفَقُ منها"[167].

فكان الخير الذي عَمّها ببركة دعاء النبي ﷺ لسرعة استجابتها وانقيادها، وخروجها عن مراد نفسها إلى مراد رسول الله ﷺ.

القصة الثانية:

وهذه حكاية لامرأةٍ أخرى في الانقياد المباشر...

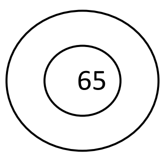
عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال: إنه لما كان يوم أحد أقبلت امرأة تسعى، حتى إذا كادت أن تشرف على القتلى، فكره النبي ﷺ أن تَرَاهُم، فقال: "المرأة المرأة" فتوسمت أنها أمي (صفية)...

فخرجت أسعى إليها، فأدركتها قبل أن تنتهي إلى القتلى، فَلَدَنَتْ في صدري[168]، وكانت امرأة جلدة[169]، فقالت: إليك لا أرض لك[170]، فقلت: إن رسول الله ﷺ عزم عليكِ (أمرك أن تقفي)، فوقَفَتْ، وأخْرَجَتْ ثوبين معها...

فقال: هذان ثوبان جئت بهما لأخي حمزة، فقد بلغني مَقْتَلُه، فكَفِنُوه فيهما[171].

والشاهد من الحديث: إن رسول الله ﷺ عزم عليكِ (أمرك أن تقفي)، فوقفت، فالوقوف مباشر، من دون لِمَ أمرني أن أقف، أو لن أقف بل

[167] أصحاب الرسول ﷺ (4/431-432)/ صفة الصفوة (1/304).
[168] أي ضربت في صدري.
[169] أي صبورة وقوية.
[170] أي لا وطن لك، وهي كلمة زجر.
[171] الفقه الواضح (1/387).



أريد أن أرى أخي حمزة، أو من هذا القبيل، فما أحلى الأوامر تنزلُ على قلوبِ الممتثِلين أحلَى مِنَ الشهدِ والعسل.

القصة الثالثة:

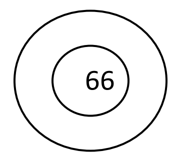
التزام حتى عند الحزن على حالة الموت:

عن حُميد بن نافع عن زينب بنت أبي سلمة أخبرته قالت: دخلتُ على أمِّ حبيبة زوج النبي ﷺ فقالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا يحلُّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تُحِدَّ على مَيتٍ فوقَ ثلاث إلا على زوجٍ أربعة أشهر وعشرا"، ثم دخلت على زينب بنت جحش حين توفِّي أخوها، فدعت بطيب فَمَسَّتْ ثم قالت: مالي بالطيب من حاجةٍ غيرَ أني سَمِعتُ رسولَ الله ﷺ على المنبرِ يقول: "لا يحلُّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تُحِدَّ على مَيتٍ فوقَ ثلاث إلا على زوجٍ أربعة أشهرٍ وعشرا"[172].

فانظر رعاك...

كيف أنَّ حُزنُها على أخيها لَمْ يشغلها ولم يُلهِهَا عما أمر النبي ﷺ به، فمَسَّت من الطِيْبِ بعد انتهاء اليوم الثالث مباشرة من دون حاجة لها به، لقوله ﷺ: "لا يحلُّ لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر تُحِدَّ على مَيتٍ فوقَ ثلاث إلا على زوجٍ أربعة أشهر وعشرا"، وذلك في مبادرة سريعةٍ منها لتطبيق ما أمر به رسول الله ﷺ.

[172] _ رواه البخاري: راجع فتح الباري بشرح صحيح البخاري (490/3).



التزام منذ نعومة الصغر:

أما هذه القصة فلربما غريبة لأنها حكاية امتثالٍ من غلام رغمَ صغر سِنِّه.

فعن عمر بن أبي سلمة ﵁ قال: "كنت غلاماً في حِجْرِ رسول الله ﷺ فكانت يدي تطيش في الصحفة[173]، فقال لي رسول الله ﷺ: "يا غلام سم الله، وكُل بيمينك، وكُل مما يليك"، قال عمر: فما زالتْ تلك طَعمَتِي بَعدُ[174].

يعلق ابن حجر _رحمه الله_ على الحديث بكلامٍ أحلى من الذهب: وفيه منقبة لعمر بن أبي سلمة لامتثاله الأمر، ومواظبته على مقتضاه[175].

فبقيَ يُسَمِ الله تعالى في بداية كلِّ أكلةٍ يأكلها امتثالاً لتعاليم رسولِ الله ﷺ، فهل رأيت مثل هذا الانقياد والامتثال من عمر بن أبي سلمة.

173 _ أي طبق الطعام
174 _ متفق عليه: رواه البخاري ومسلم.
175 _ فتح الباري بشرح صحيح البخاري (657/10).

ولبطلِ قصة الانقياد هذه لفتةٌ خاصة من نوعها، فريدةٌ في بابها، وتسبق غيرها، فتكاد لا تذكَرُ لغيره أبداً أبداً...

فعن عبد الرحمن بن أبي ليلى أن عبد الله بن رواحة أتى النبي ﷺ وهو يَخْطُبُ، فسمعه وهو يقول: "اجلسوا" فجلس مكانه خارج المسجد حتى فرغ من خطبته، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: "زادك الله حرصاً على طواعية الله ورسوله"[176].

إضاءة وتعليق:

وبعدُ فأكاد أعجب من صنيع هذا الصحابي فلا شك أن الكلام لمن هُمْ في المَسْجِدِ، وكان هو خارجَ المسجدِ، فنَفَّذَ الأمرَ مباشرة من دون أن يعرف من المقصود، فجلس في الطريق.

ولا أخفي إعجابي من إعجاب رسول الله ﷺ من موقف عبد الله، حتى دعا له بزيادة الطواعية لله ورسوله.

[176] ضعيف: سير أعلام النبلاء (146/3).

عمر بن الخطاب ﷺ:

عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر _رضي الله عنهما_ قال: كانت امرأة لعمر تشهد صلاة الصبح والعشاء في جماعة في المسجد، فقيل لها: لِمَ تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟ قال: وما يمنعه أن ينهاني؟ قال: يمنعه قول رسول الله ﷺ: "لا تمنعوا إماء الله مساجد الله"[177].

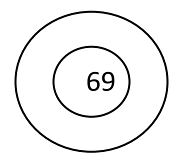
قال الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي: وفيه تعظيم عمر ﷺ للسُنَّة، وأنه مع شدة غيرته ما يستطيع أن يمنعها عملاً بقول النبي ﷺ[178].

عن ابن شهابٍ عن سالمٍ أن أباه حدَّثه قال: قبَّل عمرُ بن الخطاب الحجرَ (الحجر الأسود) ثم قال: "أمَ والله لقد علمتُ أنك حجرٌ ولولا أني رأيت رسولَ الله ﷺ يقبلكَ ما قبلتُكَ"[179].

"أمَ والله لقد علمتُ أنك حجرٌ ولولا أني رأيت رسولَ الله ﷺ يقبلكَ ما قبلتُكَ".

فأراد به بيان الحثِّ على الإقتداء برسول الله ﷺ في تقبيله، ونبَّه على أنه لولا الإقتداء به لما فعله[180].

177 _ رواه البخاري، راجع فتح الباري بشرح صحيح البخاري (39/3).
178 _ منحة الملك الجليل شرح صحيح محمد بن اسماعيل (549/2).
179 _ رواه مسلم.
180 _ شرح صحيح مسلم للنووي (15/9).



عبد الله بن عمر:

قالوا عنه....

عن عائشة _رضي الله عنها_: ما رأيت أحداً ألزم للأمر الأول من عبد الله بن عمر[181].

قال أبو جعفر الباقر: كان ابن عمر إذا سمع من رسول الله ﷺ حديثاً لا يزيد ولا ينقص، ولم يكن أحد في ذلك مثله

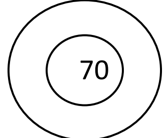
سير أعلام النبلاء (308/4).

عن مالك عمن حدثه: أن ابن عمر كان يتبع أمر رسول الله ﷺ وآثاره وحاله، ويهتم به، حتى كان قد خيف على عقله من اهتمامه بذلك[182].

عن عاصم الأحول عمن حدثه قال: كان ابن عمر إذا رآه أحد ظنَّ به شيئاً مما يتبع آثار النبي ﷺ[183].

---

181 _ صفة الصفوة (234/1)/ سير أعلام النبلاء (307/4).
182 _ سير أعلام النبلاء (309/4).
183 _ المرجع السابق (307/4).



صورٌ من التزامه وانقياده ﵁:

عن نافع عن ابن عمر _رضي الله عنهما_ قال: قال رسول الله ﷺ: "لو تركنا هذا الباب للنساء" قال نافع: فلم يدخل منه ابن عمر حتى مات[184].

يا له من التزام لما أمر به رسول الله ﷺ وترك الدخول والخروج منه أبداً حتى ولو لم يكن نساء في المسجد في موعد غير صلاة، فهل رأيت مثل هذا الالتزام من قبل أو من بعد، إنه ابن عمر الذي عُرِفَ أنه شديد التأسي برسول الله ﷺ بأقواله وأفعاله، وحركاته وسكناته، ودخوله وخروجه، ومشيه وجلوسه.

عن عبد الله بن عمر _رضي الله عنهما_ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "لا تمنعوا نساءكم المساجد إذا استأذنَّكم" قال سالم بن عبد الله: فقال بلال بن عبد الله: والله لنمنعهن، قال سالم: فأقبل عليه عبد الله فسبَّه سبَّاً سيئاً ما سمعتُه سبَّ مثله، قال: أخبرك عن رسول الله ﷺ وتقول: والله لنمنعهن[185].

في رواية: "فضرب في صدره"[186].

قال ابن حجر _رحمه الله_ : وإنما أنكر عليه ابن عمر لتصريح بمخالفة الحديث[187].

[184] _ سير أعلام النبلاء (309/4)/ عاطر الأنسام من حياة شيوخ الإسلام ص:528_259.
[185] _ رواه البخاري ومسلم.
[186] _ شرح صحيح مسلم للنووي (133/4).
[187] _ فتح الباري بشرح صحيح البخاري (622/2).

"والله لنمنعهن" في هذا تأويل للحديث لأنه لا يقصد ردَّ الحديث ولكن قصده أن الأمر تغير، فإن الرجال الذين جاءوا من بعد عهد النبي ﷺ لا كالرجال، والنساء لا كالنساء، وليس مراد بلال بن عبد الله بن عمر المعارضة قطعاً، ولكن لمَّا كان هذا اللفظ ظاهره المعارضة سبَّه أبوه أي وبخه[188].

وفَعَلَ ابنُ عمر هذا بولده مؤدباً له، لأنه ولده وله تأديبه بما يرى، بخلاف غيره ممن ليس له تأديبه[189].

وفي الحديث:

1- تعزير المعترض على السنة، والمعارض برأيه[190].
2- أنه يجب تعظيم السُنَّة، والعناية بها[191].
3- دليل على جواز الإنكار على من تكلَّم بكلام ظاهره المعارضة، وإن لم يكن يقصدها، وأنه يسَبُّ، فكيف بمن أراد؟ فإن هذا يكون أشدُّ وأشدُّ[192].

188 _ شرح صحيح مسلم لابن عثيمين (207/2).
189 _ المرجع السابق (207/2_208).
190 _ شرح صحيح مسلم للنووي (133/4).
191 _ منحة الملك الجليل شرح صحيح محمد بن اسماعيل (505/2).
192 _ شرح صحيح مسلم لابن عثيمين (207/2).

قصة صاحب الخاتم وحسن التزامه:

فعن عبد الله بن عباس _رضي الله عنهما_: "أن رسول الله ﷺ رأى خاتماً من ذهبٍ في يَدِ رجلٍ، فنزعه فطرحه، وقال: يعمد أحدكم إلى جمرة من نار فيجعَلُها في يده، فقيل للرجل بعدما ذهبَ رسول الله ﷺ: خذ خاتمكَ انتفع به، قال: لا والله، لا آخذُهُ أبداً وقد طرَحَهُ رسول الله ﷺ"[193].

"قال: لا والله، لا آخذُهُ أبداً وقد طرَحَهُ رسول الله ﷺ".

قال النووي _رحمه الله_: ففيه المبالغة في امتثال أوامر رسول الله ﷺ، واجتناب نهيه، وعدم الترخص فيه بالتأويلات الضعيفة[194].



فلربما كان هذا الرجل لا يملك سوى هذا الخاتم، ولشدة امتثاله لم يرضَ الرجل أن يأخذه لينتفع به فلربما باعه وانتفع بحقه، ولربما أعطاه لزوجته، ولربما أهداه، أو تصدق بثمنه، إنه امتثال من نوع خاص تعجز الأرحام أن تلد مثل هذه الصور المشرقة من الامتثال والانصياع المباشر لأوامر الله ورسوله ﷺ.

★★★★★★★★★★

[193] _ رواه مسلم.
[194] _ شرح صحيح مسلم للنووي (54/14).

الباب الثامن:

الخشوع

حين نتكلم عن الخشوع فأول ما يتبادر إلى أذهاننا هو الخشوع في الصلاة، ولكن لا أكون مبالغاً إن قلت إن الخشوع في الصلاة ما هو إلا جزء من أجزاء الخشوع الذي نحن بصدد الحديث عنه.

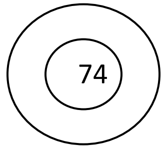
وما نحن بصدد الحديث عنه من الخشوع هو الخشوع العام المنبثق عن العبادات من الصلاة والزكاة والحج والذكر وغيرها، وهو ما يؤدي إلى انعكاسات الخشوع من داخل العبادة إلى خارجها، وأن يكون منهاجاً يسير به الشخص الملتزم بين الناس، وهو السيرة الذاتية للملتزم.

والخشوع: هو خمود نيران الشهوة، وسكون دُخان الصدور، وإشراق نور التعظيم في القلب، واستحضار عظمةِ الله وهيبتِهِ وجلالِهِ.

قال الجنيد _رحمه الله_: الخشوع تذلُّلُ القلوب لعلام الغيوب[195].

قال ابن القيم _رحمه الله_: والحق أن الخشوع معنى يلتَئِم من التعظيم، والمحبة، والذل والانكسار[196].

[195] _ صلاح الأمة في علو الهمة (525/7).
[196] _ مدارج السالكين (418/1).



والخشوع قاسم مشترك بين الأخلاق والعقيدة والعمل، يُغذُّوها بخشية الله فتؤدي مقصودها في النفس والقلب معاً.

وقد كان النبي ﷺ يسألُ اللهَ تعالى خشوع القلب، ففي الحديث عن زيد بن أرقمٍ رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يقول: "اللهم إني أعوذ بك من علمٍ لا ينفع، ومن قلبٍ لا يخشع، ومن نفسٍ لا تشبع، ومن دعوةٍ لا تستجاب"[197].

قال سهل _رحمه الله_: من خشعَ قلبه لم يقرب منه الشيطان[198].

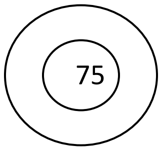
وهو أول ما يرفع عن الأمة:

قال عبادة بن الصامت لجبير بن نفيل: إن شئتَ حدثتك بأول علم يرفعُ من الناس: الخشوع، يوشك أن تدخل المسجد الجامع فلا ترى فيهم خاشعاً[199].

أمَّا من تطاول أو تواضع فالجزاء جاءك به ابن مسعود رضي الله عنه...

فقال: من تطاول تعظُماً حَطَّهُ الله، ومن تواضع تخشُّعاً رفعه الله[200].

[197] _ رواه مسلم.
[198] _ صلاح الأمة في علو الهمة (528/7).
[199] _ تحقيق الوصال بين القلب والقرآن ص:76.
[200] _ الفوائد ص:214.



استعاذة وعلينا أن نستعيذ بالله تعالى من **خشوع النفاق**، وهو تكلُّف الإنسان تعاطي الخشوع في جوارحه وأطرافه مع فراغ قلبه من الخشوع وخلوِّه منه، كان ذلك خشوع النفاق[201] . . .

وهذا ما حذرنا منه الصحابي الجليل أبو الدرداء ﵁، فعن محمد بن سعيد الأنصاري، عن أبي الدرداء ﵁ قال: استعيذوا بالله من خشوع النفاق، قيل: وما خشوع النفاق؟ قال: أن يُرى الجسد خاشع والقلب ليس بخاشع[202].


فمن لم يخشع قلبه لم تخشع جوارحه

إحياء علوم الدين (382/2).

[201] _ صلاح الأمة في علو الهمة (559/7).
[202] _ صفة الصفوة (264/1).

وبالخشوع تنتظم جوارح العبد جميعاً[203]...

فقد كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: "اللهم لك ركعتُ، وبك آمنتُ، وعليك توكلتُ، خشعَ لك سمعِي وبصرِي ومخِّي وعظمِي وعصبِي وما استقلَّت به قدمي، لله رب العالمين"[204].

قال ابن القيم _رحمه الله_: والله سبحانه وتعالى أخبر عن الأرض بأنها تكون خاشعة، ثم ينزل عليها الماء فتهتزّ وتأخذ زينتها وبهجتها، فكذلك المخلوق إذا أصابه حظُّه من التوفيق[205].

قال تعالى: "سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ" .

بعض الناس يحسب أنها البقعة التي تخرج في جبهة كثير من الناس، ولكنَّ الجوابَ يأتيك من إمام من أئمة التفسير فيقول: ربما كان (أثر السجود) بين عيني من هو أقسى قلباً من فرعون[206].

قال ابن عباس _رضي الله عنهما_: "سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم"

يعني السمت الحسن.

---

[203] _ صلاح الأمة في علو الهمة (532/7).
[204] _ حديث صحيح.
[205] _ الفوائد، نقلاً عن كتاب منتقى الفوائد ص:120_121.
[206] _ تفسير ابن كثير (365/7).

قال مجاهد وغير واحد _رحمهم الله_: يعني: الخشوع التواضع[207].

وقد قالوا:...

فالشيء الكامن في النفس يظهر على صفحات الوجه، فالمؤمن إذا كانت سريرته صحيحة مع الله تعالى أصلح الله عز وجل ظاهره للناس.

ويُزيِّنُ هذا الكلامَ ويثْبِتُه ما روي عن عمر ﷺ أنه قال: من أصلح سريرته أصلح الله تعالى علانيته[208].

حديث شريف...

عن ابن عباس _رضي الله عنهما_ عن النبي ﷺ: "إن الهديَ الصالح والسمت، والاقتصاد جزء من خمسةٍ وعشرين جزءاً من النبوة"[209].

والسمت: هو حسن الهيئة والمنظر، وأصله الطريق المنقاد[210].

قال خلف: كان محمد بن سيرين قد أعطيَ هدياً وسمتاً وخشوعاً، فكان الناسُ إذا رأوه ذكروا الله[211].

207 _ تفسير ابن كثير (365/7).
208 _ المرجع نفسه الصفحة نفسها.
209 _ رواه أحمد وأبو داود.
210 _ عون المعبود شرح سنن أبي داود (112_111/13).

والمقصد من الحديث: إن هذه الخصال المعدودة من خصائص الأنبياء، التي منحها الله تعالى أنبياءه _عليهم الصلوات والسلام_، وأنها جزء من أجزاء فضائلهم، فاقتدوا بهم فيها، وتابعوهم عليها[212].

وأصل الأخلاق المحمودة كلِّها الخشوعُ وعلو الهمة[213].

قال تعالى: "وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى".

قال ابن القيم _رحمه الله_:

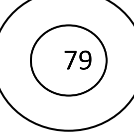
فخوفه في هذا المقام يوجب له خشوع القلب لا محالة، وكلما كان أشدُّ استحضاراً له كان أشدَّ خشوعاً، وإنما يفارق القلب إذا غفل عن اطلاع الله عليه، ونظره إليه.

مدارج السالكين (419/1).

وهو ما يسميه أهل معاملة القلوب (الاتضاع لنظر الحق): وهو اتضاع القلب والجوارح، وانكسارها لنظر الربِّ إليها، واطِّلاعه على تفاصيل ما في القلب والجوارح[214].

---

211 _ صفة الصفوة (147/3).
212 _ عون المعبود شرح سنن أبي داود (112/13)/ معالم السنن شرح سنن أبي داود (99/4).
213 _ الفوائد ص:209.



فالعبادات من طهارة وصلاة وصيام وزكاة وحجٍّ وغيرها إنما شرعت من أجل طهارة وتزكية الباطن، وهي تنعكس على قلب الإنسان إيماناً بالله وتقوى[215].

وأُولى هذه العبادات...

الطهارة:

كثير من الناس يَعرِفُ الطهارة على ما اقتصرها الفقهاء في كتبهم ومصنفاتهم، فيعرفها أنها: رفع الحدث وإزالة النجس، فيبالغ في إزالة النجاسة ويُفَوِّتُ أموراً أعظم منها...

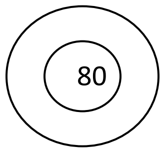
قال الغزالي _رحمه الله_: أما الطهارة فإذا أتيت بها في مكانك وهو ظرفك الأبعد، وفي ثيابك وهي غلافك الأقرب، ثم في بشرتك وهي قشرك الأدنى، فلا تغفل عن لُبِّكَ[216] الذي هو ذاتك وهو قلبك، فاجتهد له بالتوبة والندم على ما فرَّطت، وتصميم العزم على الترك في المستقبل، فطهر بها (أي بالتوبة والندم) باطنك فإنه موضع نظر معبودك[217].

وهي على مراتب مقسَّمة لأقسام:

فقد قال ابن قدامة المقدسي _رحمه الله_: اعلم أن الطهارة لها أربع مراتب:

---

[214] _ مدارج السالكين (419/1).
[215] _ مع الله للدكتور سلمان العودة ص:240.
[216] _ هنا سيذكر الغزالي طهارة القلب وبِمَ يُطهَر.
[217] _ إحياء علوم الدين (197/1).



الأولى: تطهير الظاهر من الأحداث والأنجاس والفضلات.

والثانية: تطهير الجوارح من الذنوب والآثام.

والثالثة: تطهير القلب من الأخلاق المذمومة والرذائل المَمْقُوتَه.

والرابعة: تطهير السِّر عما سوى الله تعالى، وهذا هو الغاية القسوى، فمن قويت بصيرتُه سَمَت إلى هذا المطلوب، ومن عَمِيَت بصيرته لم يفهم مراتب الطهارة إلا المرتبة الأولى[218].

قال تعالى: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" .

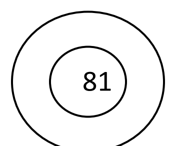
وجاءت التوبة مقرونة بالتطهر... هنا يعطيك ابن القيم _رحمه الله_ حلاوة في تفسير هذه الآية، ولفتة إيمانية، وإشارة قلبية، فيقول:

لأن التوبة تطهير للجنان والقلب من أوزار الذنوب، بحيث يتحوّل القلب إلى الصفاء والنقاء، ويتألق ويتطهّر بنور الإيمان، فتذهب عنه أوزاره، وتنعكس الحقائق عليه صافية ناصعة، كما أن التطهر في الظاهر بالوضوء والغسل وما أشبه ذلك مما شرعه الله تبارك وتعالى، من الأعمال الصالحة التي تعين على التوبة إلى الله عز وجل[219].

---

[218] _ مختصر منهاج القاصدين ص:27.

[219] _ مع الله للدكتور سلمان العودة ص:240.



الوضوء:

الدعاء عقب الوضوء...

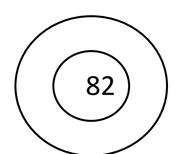
عن عمر بن الخطَّاب ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبدُهُ ورسولُهُ، اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيِّها شاء"[220].

يعلِّق ابن القيم:

فالله سبحانه بحكمته جعل الدخول عليه موقوفاً على الطهارة، فلا يدخل المصلي عليه حتى يتطَهر، وكذلك جعل الدخول إلى جنته موقوفاً على الطِّيب والطهارة، فلا يدخلها إلا طيِّبٌ طاهر...

فهما طهارتان: طهارة البدن، وطهارة القلب، فطهارة القلب بالتوبة، وطهارة البدن بالماء، فلما اجتمع له الطُّهران صَلَحَ للدخول على الله تعالى، والوقوف بين يديه ومناجاته[221].

220 _ صحيح: رواه الترمذي.
221 _ إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان (122/1).



وهذه صور من سلفنا الصالح عند الوضوء نقف أمامها متعجبين متحيرين مما وصلتْ إليها درجة خشوعهم _رضوان الله عليهم_.

كان زين العابدين رحمه الله إذا توضأ وتهيأ للصلاة ظهر الخوف والوجل على وجهه، وعندما سألوه لماذا يحدث لك هذا؟ قال: أما تدرون بين يدي من سأقف[222].

إذا كان زين العابدين هذه حالته عند الوضوء فأتساءل يا ترى ما هي حاله عند الصلاة الوقوف بين يدي الله.

وهذا منصور بن زاذان توضأ يوماً فلما فرغت دمعت عيناه، فقيل له: رحمك الله ما شأنك؟...

فقال: وأي شيء أعظم من شأني؟! إني أريد أن أقوم بين يدي من لا تأخذه سنة ولا نوم، فلعله أن يُعرض عني[223].

رحمكَ الله يا منصور لمَّا استَشعَرتَ عظمة الله تبارك تعالى الذي ستقوم بين يديه خشعَ قلبُك فدَمِعت عيناكَ قبل دخولك عليه، فليت شعري بأي قلبٍ دخلت على مولاك في الصلاة، ولو رأيت حالنا اليومَ في الصلاة لرأيت العجب العجاب، أما عن الوضوء فحدِّث ولا حرج.

[222] _ من وصايا الرسول ﷺ (198/1)/ أصول الوصول إلى الله تعالى ص:294.

[223] _ هيا بنا نؤمن ساعة ص:96.

الصلاة:

قبل الدخول للباب هناك اختبار وتفَّحُص...

قال الأعمش _رحمه الله_: كانوا إذا أتوا الرَّجُلَ ليأخذوا عنه نظروا إلى صلاته، وإلى هديه وإلى سمته[224].

قال الراشد: لقد مَنَّ الله على الناس بكثير من المباح الحلال، ولكنَّ المؤمن له لذة كلما توجه إلى ربِّه بصفاء الروح، تتضاءل بجانبها لذة المباح فيهجرَ الكثير منه حذراً من كدرٍ يعكِّرُ الصفاء الذي هو فيه[225].

وقال: يا لها من حكمة أن فرض الله علينا الصلوات بين ساعات ساعات، لتبقى الروح أبداً إما متصلة أو مهيأة لتتصل، ولن يعجز أضعف الناس مع روح الدين أن يملك نفسه أنه متوجه بعدها إلى ربه، فخاف أن يقف بين يديه مخطئاً أو آثماً، ثم هو إذا ملك نفسه إلى هذه الفريضة ذكر أن بعدها الفريضة الأخرى، وأنها بضع ساعات كذلك، فلا يزال من عزيمة النفس وطهارتها في عمر على صيغة واحدة لا يتبدل ولا يتغير كأنه بجملته مهما طال عمل بضع ساعات[226].

---

224 _ هيا بنا نؤمن ساعة ص:108.
225 _ الرقائق ص:19.
226 _ المرجع السابق ص:20.



اجتماع أركان الإسلام الخمسة في الصلاة:

فلعلك تلاحظ وأنت تصلي أنك...

تحقق الركن الأول.. وأنت تقول في التشهد: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله...

وتحقق الركن الثاني وهو الصلاة.. وأنت تقف بين يدي الله تؤدي هذه الفريضة...

وتحقيق الركن الثالث وهو الزكاة.. يكمن فيما تؤديه من زكاة جسدك بركوعك وسجودك، وكذلك زكاة وقتك...

وتحقق الركن الرابع وهو الصيام.. بامتناعك عن الطعام والشراب وأنت في الصلاة وإلا بطُلت، وكذلك تمتنع عن الكلام إلا بطُلت الصلاة كذلك...

وتحقق الركن الخامس وهو الحج وأنت تتجه إلى الكعبة في صلاتك، فتكون مشوقاً لرؤيتها، والطواف حولها[227].

فحياة الجاهلي ركود مستمر...

وحياة المصلي حركة، تزيد صواباً،

أو تستدرك اعوجاجاً[1].

كتاب الرقائق

[227] _ من وصايا الرسول ﷺ (197/1).

رِكِز معنا

قال تعالى في كتابه: "أَقِيمُوا الصَّلَاةَ" . . .

هل تساءلت يوماً ما لِمَ قال: (أقيموا الصلاة) ولم يقل ولا مرة واحدة بلفظ (صلوا)؟.

فإقامة الصلاة معناها: أداؤها كاملة الأركان والشروط **الظاهرة والباطنة**، من الاطمئنان والخشوع في ركوعها وسجودها، والتأمل والتفهم من المصلي فيما يقرأ، وغيرها من الامور التي لا تصح الصلاة إلا بها، وفي الباطن استشعاره خشية الله وهو يقف بين يديه[228].

وتعلمنا الصلاة الحقيقية

الانضباط في المواعيد...

إذا أردت أن تعرف هل فلان محافظٌ على الصلاة بصدق أم لا فراقب صدقه بالانضباط بمواعيده، فإن كان يحافظ على مواعيده للصلاة فهو صادق في تحري الوقت مع الناس، وهو الشخص الذي ضبط برنامجه اليومي على مواعيد الصلاة، فغالباً ما تسمعه

[228] _ رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي تحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غدة ص:196 الهامش.

يعطـي مواعيـده فيقـول: أراك فـي المكـان كـذا بعـد صـلاة كـذا، لأن الصلاة ضبطت له برنامج حياته.

قال تعالى: "إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا" .

والمعنى عند أهل اللغة: مفروض لوقتٍ بعينه[229].

قال ابن مسعود ﷺ: إن للصلاة وقتاً كوقت الحج[230].

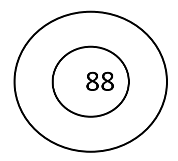
غض البصر...

وضبط العين عن عورات المسلمين من إقامة الصلاة...

تعلمنـا الصـلاة غض البصـر: فـالنبي ﷺ أمر المصـلي أن ينظر إلـى مكان سجوده ولا يلتفت لأن الله ينصب وجهه لوجه عبده في صلاته ما لم يلتفت[231].

فكمـا أن المـرء فـي الصـلاة مـأمور بغـض النظـر وعـدم الالتفـات، فكذلك خارج مأمور بغض البصر قال تعالى: "قُل للمُؤمِنينَ يَغُضـوا مِن أبْصَارِهِم"

[229] _ تفسير القرطبي (373/5).
[230] _ تفسير ابن كثير (451/2).
[231] _ أول مرة أصلي وكان للصلاة طعم آخر للدكتور خالد أبو شادي ص:23.



ضبط اللسان...

فضبط اللسان من إقامة الصلاة، فيجب ضبطه عن الغيبة والنميمة والسخرية والاحتقار، والبهتان والإيقاع بين الناس، والتحريش بين المؤمنين...

وتعلمنا الصلاة حفظ اللسان فلا يتكلم الإنسان خارج الصلاة إلا فيما يُرضِي الله عز وجل وما هو مباح، وما يرضي الله تبارك وتعالى.

ضبط الأذن...

ومن إقامة الصلاة ضبط الأذن عن استماع الغناء أو ما يرضي الله تعالى، فكما أن الإنسان داخل الصلاة حين يكون مأموماً يحفظ سمعه على قراءة الإمام في الصلاة...

فكذلك تعلمنا الصلاة خارجها أن نحفظ أسماعنا من سماع الخنا، والإنصات للغيبة أو التجسس على الناس.

ضبط الجوارح...

ومن إقامة الصلاة ضبط الفكر عن خواطر لا ترضي الله عز وجل، ومن إقامة الصلاة ضبط اليد عن أن تبطش، ومن إقامة الصلاة ضبط الرجل عن أن تسعى إلى ما لا يرضي الله[232].

فالإنسان الخاشعَ الملتزم يجعل حركاته وسكنَاتِه لله، وبالله، ومع الله.

[232] _ تفسير النابلسي (57/7).

فرأيت الخشوع وكماله قد تَحقَّقَ فيما قاله ابن دقيق العيد _رحمه الله_ عن نفسه: ما تكلمت ولا فعلت فعلاً إلا وأعددت له جواباً بين يدي الله عز وجل[233].

فهكذا ينبغي على المرء أن يكون خارج الصلاة وكأنه في صلاة، فعن ابن عون قال: كان مسلم بن يسار _رحمه الله_ إذا كان في غير صلاة كأنه في صلاة[234].

كان يحيى بن وثاب _رحمه الله_ إذا صلى مكث ما شاء الله تعرف عليه كآبة الصلاة، وكان إبراهيم يمكث بعد الصلاة ساعة كأنه مريض[235].

وبعد هذا كله...

إذا رأينا رجلاً يصلي ولا تُكْسِبُه صلاته ثمرة من هذه الثمرات الثمينة تَحَتَّمَ أن نجزِمَ أن صلاتَه ليستْ هي الصلاة التي أمر الله بها عباده[236].

قال صاحب مختصر منهاج القاصدين: واعلم أن أداء الصلاة بهذه الشروط الباطنة سبب لجلاء القلب من الصدأ، وحصول

233 _ طبقات الشافعية نقلاً عن كتاب الموسوعة الأم في تربية الأولاد (536/1).
234 _ صفة الصفوة (145/3).
235 _ إحياء علوم الدين (202/1).
236 _ رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي تحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غدة ص:197 الهامش.

الأنوار فيه التي بها تتلمح عظمة المعبود، وتتطلع على أسراره "وما

يَعقِلُهَا إلا العالِمُون" .

فأما من هو قائم في صورة الصلاة دون معانيها، فإنه لا يطَّلع على شيء من ذلك بل يُنكر وجوده[237].

وهذا حال كثير من الناس اليوم _والعياذ بالله_: يتعاطى أحدهم أسباب قسوة القلب واحداً تلو الآخر، ثم يقوم للصلاة يطلب المعجزات، وينتظر الفتوحات، أما جوارحه.. آه من جوارحه.. كل جارحة في بلد أو حارة، أما قلبه فقد مات[238]...

ومن ثمرات هذه الصلاة أنها تكُفُّ صاحبها عن كل فُحشٌ، وتُقصِيه عن كل منكر[239].

فالصلاة الحقيقية تربي في الإنسان الخشية والخوف والمراقبة لله تعالى، وتكسبه الصبر على المكاره، وهي الدرع الواقي للإنسان والحصن الحصين لوقايته من الذنوب والآثام، وخصوصاً إذا ما أدِّيت في خشوع وتواضع لله تبارك وتعالى، ومن ثَمَّ فهي تسهم في إعداد الإنسان الفاضل[240].

ثم يحوطها بعد أن يصليها فلا يحبطها[241].

[237] _ مختصر منهاج القاصدين ص:33.
[238] _ أول مرة أصلي وكان للصلاة طعم آخر للدكتور خالد أبو شادي ص:94.
[239] _ رسالة المسترشدين للحارث المحاسبي تحقيق وتعليق عبد الفتاح أبو غدة ص:196 الهامش.
[240] _ قواعد تكوين البيت المسلم ص:623.
[241] _ تفسير القاسمي (578/7).

وترانا أننا نخرج من الصلاة وكأننا لم نكن فيها لأنها لم تقبل، لأن بعض المصلين يخرجون من الصلاة لكي يعودوا إلى الفحشاء والمنكر، فلو صدقت صلاتنا لنهتنا عن الفحشاء والمنكر[242].

وهذا لا يكون إلا إذا تحقق في الصلاة صلاة القلب، وسجوده مع سجود الجوارح[243].

تنبيه رباني...

قال تعالى: "إِنَّ الصلاةَ تَنْهَى عَنِ الفَحشَاءِ والمُنْكَرِ والبَغي" .

فالصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر ما دام فيها وما لم يكن فيها، يعني: ليس نفعها هذا النفع خاصاً بما إذا كان الإنسان متلبساً يصلي، فالذي يصلي معلوم أنه لن يفعل الفحشاء والمنكر، لكنَّ الفائدة العظيمة أنها تؤثر على قلبك ما يقتضي إبعادك عن الفحشاء والمنكر، وهذا في الحقيقة هو الثمرة والنتيجة، لا أن الثمرة والنتيجة أنك إذا كنت تصلي ما عُدتَ تفعل الفحشاء والمنكر[244].

[242] _ من وصايا الرسول ﷺ (198/1_199) بتصريف شديد واختصار.
[243] _ مع الله للدكتور سلمان العودة ص:240.
[244] _ تفسير ابن عثيمين (536/6).

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: من لم تـأمره الصـلاة بـالمعروف، وتنهـاه عن المنكر لم يزدد بها من الله إلا بعداً[245]، وروي عن ابن عباس _رضي الله عنهما_ ذلك أيضاً [246].

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: لا صلاة لمن لم يطع الصلاة، وطاعة الصلاة أن تنهى عن الفحشاء والمنكر[247].

قال الحسن _رحمه الله_: من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر، فليست صلاته بصلاة، وهي وبال عليه[248].

والمقصود أن...

الصلاة وما يتلى فيها هي التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، وعن المعاصي، لأن الواقف بين يدي الله وهو يعرف أن الله مطلعٌ عليه ويراه، فلا يليق به أن يرتكب إثماً أو يُقبِلَ على جرم...

بمعنى آخر تتكون لديه ملكة المراقبة التي تجعل الإنسان يتقن عمله ويحسن إلى غيره[249].

245 _ الزهد للإمام أحمد ص:207/ الفوائد ص:215.
246 _ تفسير ابن كثير (6/296_297).
247 _ المرجع السابق (6/297).
248 _ تفسير القاسمي (7/578)/ تفسير النسفي (3/259).
249 _ قواعد تكوين البيت المسلم ص:623.

كان بعض السلف _رحمه الله_ يقول

عند موته:

اللهم إن كنت كتبتَ لأحد أن يُصليَ في

قبره فاجعلني ممن يصلي في قبره

أصول الوصول إلى الله تعالى ص:295

الزكاة:

قال تعالى: "خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا"

"تطهرهم" قال الشوكاني رحمه الله في فتح القدير[250]: معنى التطهير: إذهاب ما يتعلق بهم من أثر الذنوب.

أي عما تلطخوا به من أوضار التخلف[251]، من الذنوب والأخلاق الرذيلة[252].

"وتزكيهم" التزكية: المبالغة في التطهير[253]، من الأخلاق الذميمة[254]، وتُنَمِّيهِم وتزيد في أخلاقهم الحسنة وأعمالهم الصالحة، وتزيد في ثوابهم الدنيوي والأخروي[255].

والزكاة تتضمن معنى الطهارة من الغل والطهارة من البخل والشحِّ والجشع والحسد، والمعاني الفاسدة المختلفة[256].

وتسهم في تطهير النفوس من الآفات الأخلاقية التي تتنافس مع خلق المؤمن الذي يجب أن يتحلى بها من التواضع والقناعة والرضا[257].

---

250 _ فتح القدير (399/2).
251 _ تفسير القاسمي (509/5).
252 _ تفسير السعدي ص:366.
253 _ فتح القدير (399/2).
254 _ تفسير القاسمي (509/5).
255 _ تفسير السعدي ص:366.
256 _ مع الله للدكتور سلمان العودة ص:240.
257 _ قواعد تكوين البيت المسلم ص:623.

الصيام:

قال بعضُ السلف _رحمه الله_: الصيام معقل من معاقل العابدين.

فينبغي للمؤمن أن يعلم حقيقة الصوم، وهي: الامتناع عن كل ما يبعد العبد من ربه تبارك وتعالى، وليس مجرد الامتناع عن الطعام والشراب[258]، وتجويع النفس، بل هو خطوةٌ في تدريب النفس على الإقلاع عن كل الرذائل والمحرمات[259].

قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكُمُ الصِّيام كما كُتِبَ على الذين مِنْ قبلِكُم لَعَلَّكُم تَتَّقُون"

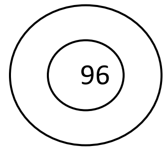
قيل: تتقون المعاصي بسبب هذه العبادة، لأنها تكسر الشهوة وتضعف دواعي المعاصي[260].

فالصوم يحقق معنى التقوى لله عز وجل[261].

قال سيد قطب _رحمه الله_ في كتابه (في ظلال القرآن)[262]:

وهكذا تبرز الغاية الكبيرة من الصوم، إنها التقوى، فالتقوى هي التي تستيقظ في القلوب، وهي تؤدي هذه الفريضة، طاعةً لله وإيثاراً

[258] _ مجموع الرسائل الإيمانية ص:468.
[259] _ التجديد في الفقه الإسلامي ص:221.
[260] _ فتح القدير (1/180).
[261] _ مع الله للدكتور سلمان العودة ص:240.
[262] _ في ظلال القرآن (1/168).



لرضاه، والتقوى هي التي تحرس هذه القلوب من إفساد الصوم بالمعصية، ولو تلك التي تهجس في البال، والمخاطبون بها في القرآن يعلَمُون مقام التقوى عند الله، ووزنها في ميزانه، فهي غاية تتطلع إليها أرواحهم، وهذا الصوم أداة من أدواتها، وطريق موصلٌ إليها، ومن ثَمَّ يرفعها السياق أمام عيونهم هدفاً وضيئاً يتجهون إليه عن طريق الصيام. اهـ

وذلك حقيقة الصوم... فله تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة، والقوى الباطنة، وحَمِّيَتُها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الردية المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى[263].

عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "من لم يدع قولَ الزورِ والعملَ به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه"[264].

قال البيضاوي _رحمه الله_: ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش، بل ما يتبعه من كسر الشهوات، وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة، فإذا لم يحصل ذلك لا ينظر الله إليه نظر القبول[265].

263 _ تفسير القاسمي (2/54_55).
264 _ رواه البخاري وأبو داود والترمذي.
265 _ فتح الباري بشرح صحيح البخاري (4/611).

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "إذا أصبح أحدكم يوماً صائماً فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤٌ شاتمه أو قاتله فليقل إني صائمٌ إني صائمٌ"[266].

قال ابن بطال _رحمه الله_: ليس معناه أنه يؤمر بأن يدع صيامه، وإنما معناه التحذير من قول الزور وما ذكر معه[267].

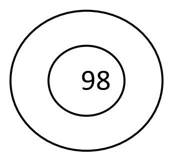
قال النووي _رحمه الله_: واعلم أن نهي الصائم عن الرفث والجهل والمخاصمة والمشاتمة ليس مختصاً به، بل كل أحد مثله في أصل النهي عن ذلك لكن الصائم آكد، والله أعلم[268].

عن أبي العالية قال _رحمه الله_: الصائم في عبادة ما لم يغتب وإن كان نائماً على فراشه.

الزهد للإمام أحمد ص:359.

وعلى هذا فمن صام رمضان وقام بعضه ولكنه يُكْثِر من النظرِ إلى القنوات الفضائية في رمضان فهل يحصل له فضيلة غفران الذنوب؟ لا شك أن صيامه ناقص وضعيف[269].

[266] _ رواه مسلم.
[267] _ عون المعبود شرح سنن أبي داود (392/6).
[268] _ شرح صحيح مسلم للنووي (23/8).
[269] _ منحة الملك الجليل شرح صحيح محمد بن اسماعيل (147/4).



واعلم أن للصوم ثلاث مراتب:

المرتبـة الأولـى: صـوم العمـوم: فهـو كَفُّ الـبطنِ والفـرجِ عـن قضـاء الشـهوة[270].

قال ميمون بن مهران _رحمه الله_: إن أهونَ الصـوم تـركُ الطعـام والشراب[271].

قال بعض السلف _رحمه الله_: لا يكن يوم صوم أحدكم ويوم فطـره سواء[272].

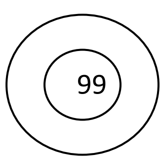
المرتبـة الثانيـة: وصـوم الخصـوص: هـو كَفُّ النظـر واللسـان واليد والرِجلِ والسمع والبصر وسائر الجوارح عن الآثام[273].

المرتبة الثالثة: وصوم خصوص الخصوص: فهو صوم القلب عن الهمم الدنيئة، والأفكار المبعدة عن الله تعالـى، وكفـه عمـا سـوى الله تعالى بالكُلِّية[274]...

وهـذه رتبـة الأنبيـاء والصِـدِّيقين والمقـربين، ولا يطـول النظـر فـي تفصيلها قولاً ولكن في تحقيقها عملاً، فإنه إقبال بِكُنـهِ الهمـة علـى الله عز وجل، وانصرافٌ عن غير الله سبحانه[275].

---

270 _ مختصر منهاج القاصدين ص:46.
271 _ مجموع الرسائل الإيمانية ص:468.
272 _ المرجع نفسه الصفحة نفسها.
273 _ مختصر منهاج القاصدين ص:46/ وراجع بيان صوم كل جارحة من كتاب إحياء علوم الدين (278_275/1).
274 _ مختصر منهاج القاصدين ص:46.
275 _ إحياء علوم الدين (275/1).



فمن دام على ذلك وأكثر من الصيام، تعودتْ نفسُه على الالتزام، والانضباط بالأحكام الشرعية والآداب كلّ يومٍ[276].

الحج:

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "من حجَّ البيتَ ولم يرفثْ ولم يفسقْ خرجَ من ذنوبِهِ كيومِ ولدته أمه"[277].

الرفث: اسم جامع لكل لغو وخنى وفحش من الكلام[278].

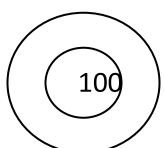
الفسق: اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله[279].

وقوله ﷺ: "ولم يفسق" أي لم يأت بسيئة ولا معصية[280]، فلم يخرج عن حد الاستقامة بفعل معصية، أو جدال أو مراء، أو خروجاً عن حدود الشريعة في الفسق[281].

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "العمرَةُ إلى العمرة كفارة لما بينهما، والحج المبرور ليس له جزاءٌ إلا الجنة"[282].

قال النووي _رحمه الله_: الأصح الأشهر أن المبرورَ هو الذي لا يخالِطُه إثمٌ، مأخوذ من البر وهو الطاعة، وقيل: هو المقبول، ومن

276 _ مجموع الرسائل الإيمانية ص:468.
277 _ رواه البخاري ومسلم.
278 _ إحياء علوم الدين (311/1).
279 _ إحياء علوم الدين (312/1)/ شرح صحيح مسلم لابن عثيمين (523/4).
280 _ فتح الباري بشرح صحيح البخاري (158/4).
281 _ فيض القدير (149/6).
282 _ رواه مسلم.



علامة القبول أن يرجع خيراً مما كان، ولا يعاود المعاصي، وقيل: هو الذي لا يعقبه معصية[283].

الذكر، وقراءة القرآن:

قال تعالى: "أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ"

ومعنى الخشوع له: الانقياد التامّ لأوامره ونواهيه، والعُكُوف على العمل بما فيه من الأحكام[284].

وقيل في معنى الخشوع: التذلل والخضوع والشعور بالانقياد والعبودية لله، وهي ثمرة الخوف[285].

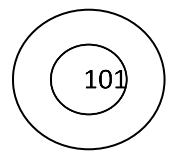
"أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ"

والمقصود ألَمْ يَحِقَّ لهؤلاء المؤمنين أن تخشع قلوبهم لذكر الله؟ أي تذل وتنقاد غاية الانقياد لذكر الله تعالى في القلوب واللسان والجوارح[286].

إنه عتاب مؤثر من المولى الكريم الرحيم، واستبطاء للاستجابة الكاملة من تلك القلوب التي أفاض عليها من فضله...

---

283 _ شرح صحيح مسلم للنووي (96/9).
284 _ تفسير القاسمي (36/9).
285 _ التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص:212.
286 _ تفسير ابن عثيمين (10/221-222).



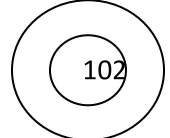
عتاب فيه الوُدُّ، وفيه الحَضُّ، وفيه الاستجاشة إلى الشعور بجلال الله، والخشوع لذكره، وتلقى ما نزل من الحق بما يليق بجلال الحقِّ من الروعة والخشية والطاعة والاستسلام[287].

قال الحسن _رحمه الله_: يستبطئهم وهم أحبُّ خلقه إليه

زبدة التفسير ص:539.

فقد دعاهم من مقام الإيمان إلى مقام الإحسان، يعني: أمَا آنَ لهم أن يَصِلُوا إلى الإحسان بالإيمان؟ وتحقيق ذلك بخشوعهم لذكره الذي أنزله إليهم؟[288].

[287] _ في ظلال القرآن (3489/6).
[288] _ مدارج السالكين (410/2).



قال عثمان بن عفان ﷺ: لو طَهُرَت قلوبنا لما شَبِعت من كلام الله.

يعلق ابن القيم _رحمه الله_ قائلاً:

فالقلب الطاهر بكمال حياته ونوره، وتخلُّصه من الأدران والخبائث لا يشبع من

القرآن، ولا يتغذّى إلا بحقائقه، ولا يتداوى إلا بأدويته، بخلاف القلب الذي لم يطهره الله

تعالى، فإنه يتغذى من الأغذية التي تناسبه، بحسب ما فيه من النجاسة، فإن القلب النجس

كالبدن العليل المريض[289].

سُئِلَت عائشة _رضي الله عنها_: عن خلق رسول الله ﷺ؟ فقالت: "كان خُلُقُهُ القرآن" رواه مسلم.

"يغضب لغضبه، ويرضى لرضاه" مختصر منهاج القاصدين ص:150..

قال النووي _رحمه الله_: معناه: العملُ به، والوقفُ عند حدوده، والتأدب بآدابه، والاعتبار بأمثاله وقصصه، وتدبره وحسن تلاوته شرح صحيح مسلم للنووي (23/6)

[289] _ إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان (118/1).

قال ابن مسعودٍ رضي الله عنه[290]: ينبغي لحاملِ القرآنِ أن يُعرَفُ بليلِهِ إذ الناس نائمون، وبنهاره إذ الناس مفطِرُون، وبحزنِهِ إذ الناس يفرحُون، وببكائِهِ إذ الناس يضحكُون، وبصمتِهِ إذ الناس يخوضُون، وبخشوعِهِ إذ الناس يختالُون، ولا ينبغي أن يكون جافياً ولا غافلاً ولا صخَّاباً[291]، ولا حديداً[292].

قال أبو العالية _رحمه الله_:
كنا نعد من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجلُ القرآن ثم ينام عنه حتى ينساه
الزهد للإمام أحمد ص:359/ صفة الصفوة (127/3).

قال الفضيل بن عياض _رحمه الله_: حامل القرآن حاملُ رايةِ الإسلام، لا ينبغي أن يلغو مع من يلغو، ولا يسهو مع من يسهو، ولا يلهو مع من يلهو، تعظيماً لله تعالى[293].

[290] _ مختصر منهاج القاصدين ص:54/ الزهد للإمام أحمد ص:210.
[291] _ صخَّاباً: شديد الصوت.
[292] _ حديداً: سريع الغضب.
[293] _ مختصر منهاج القاصدين ص:54.

الباب التاسع:

الوقار والسكينة

إن من مكارم الأخلاق التي يَجدُر أن يتحلى بها المسلمُ ويتربى عليها خلق الوقار، وهي صفة تنتج عن التحلي بمجموعة من الأخلاقِ الكريمة الأخرى كالحلم والسكينة والرزانة والوداعة والثبات[294].

قال تعالى: "واقْصِدْ فِي مشيكْ واغْضُض من صوتك" .

قال الحسن وغيره _رحمهم الله_: بسكينة ووقار[295].

أي امش مشياً مقتصداً ليس بالبطيء المتثبط، ولا بالسريع المفرط، بل عدلاً وسطاً بين بين[296]، وعليك بالسكينة والوقار[297].

فإذا كان مأموراً بالسكينة والوقار في الأفعال العادية التي هي من جنس الحركة، فكيف الأفعال العبادية[298].

294 _ لمحات تربوية من حياة التابعين ص:167.

295 _ التفسير الموضوعي لابن تيمية (144/2).

296 _ تفسير ابن كثير (357/6).

297 _ تفسير ابن عثيمين (202/7).

298 _ التفسير الموضوعي لابن تيمية (144/2).

فيستفاد أنه ينبغي للإنسان أن يكون مشيه قصداً لا اسراعاً مخلاً، ولا دبيباً متبطئاً، فيكون الإنسان في مشيه قصداً بين الإسراع والتباطؤ[299].

وأصل السكينة الطمأنينة والوقار، والسكون الذي ينزله الله في قلب عبده عند اضطرابه من شدة المخاوف، فلا ينزعج بعد ذلك لما يرد عليه، ويوجب له زيادة الإيمان، قوة اليقين والثبات[300].

مكان نزولها...

والسكينة إذا نزلت على القلبِ اطمأن بها، وسكنت إليه الجوارح، وخشعت واكتسبت الوقار[301].

حاجة العبد إليها...

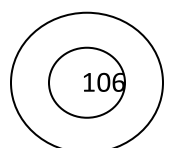
فالعبد محتاج إلى السكينة عند الوساوس المعترضة في أصل الإيمان، ليثبتَ قلبُهُ ولا يزيغ...

وعند الوساوس والخطرات القادحة في أعمال الإيمان لئلا تقوى وتصير هموماً وغموماً وإرادات ينقص بها إيمانه...

وعند أسباب المخاوف على اختلافها ليثبتَ قلبُهُ ويسكنَ جأشُهُ...

---

[299] _ تفسير ابن عثيمين (203/7).
[300] _ مدارج السالكين (405/2).
[301] _ المرجع السابق (407/2).



وعند أسباب الفرح لئلا يطمح به مركَبُهُ فيجاوز الحد الذي يعبر فينقلب ترحاً وحزناً[302].

والسكينة هي حقيقة الطمأنينة...

فقد قال تعالى: "يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة ۞ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَةً" .

قال ابن القيم ــرحمه اللهــ: وحقيقة الطمأنينة السكون والاستقرار، فهي التي سكَنَتْ إلى ربِّها، وطاعته وأمره وذكره، لمْ تَسْكن إلى سواه، فقدْ اطْمَأنت إلى محبته وعبوديته وذكره، واطْمَأنت إلى أمره ونهيه وخبره، واطْمَأنت إلى الرضا به رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ رسولاً، واطمأنت إلى قضائه وقدره، واطمأنت إلى كفايتِهِ وحَسبِهِ وضمانه، فاطْمَأنت بأنه وحده ربها، وإلاهَهَا ومعبودها، ومليكها ومالك أمرها كله، وأن مرجعها إليه، وأنها لا غنى لها عنه طرفةَ عين[303].

قالت أم سفيان الثوري لسفيان: يا بني، إذا كتبت عشرة أحرف، فانظر هل ترى في نفسك زيادة في خشيتك وحلمك ووقارك، فإن لم ير ذلك فاعلم أنها تضرك ولا تنفعك[304].

---

[302] _ سلسلة وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم (190/14).

[303] _ إغاثة اللهفان في مصائد الشيطان (155/1).

[304] _ منهج التربة النبوية للطفل (81/1)/ هيا بنا نؤمن ساعة ص:120.

وعن الحسن _رحمه الله_ قال: قد كان الرجلُ يطلب العلمَ فلم يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وهديه ولسانه وبصره ويده[305].

عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: "إذا سمعتم الإقامة فامشوا إلى الصلاة[306] وعليكم بالسكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا"[307].

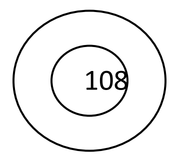
"السكينة" التأني في الحركات، واجتناب العبث ونحو ذلك.

"الوقار" في الهيئة غض البصر، وخفض الصوت، والإقبال على طريقه بغير التفات ونحو ذلك[308].

فيه دليل على أنه يستحب للذاهب إلى الصلاة ألا يعبث بيده، ولا يتكلم بقبيح، ولا ينظر نظراً قبيحاً، فإذا وصل المسجد وقعد ينتظر الصلاة كان الاعتناء بما ذكرناه آكد[309].

قال العلماء: والحكمة من إتيانها بسكينة والنهي عن السعي أن الذاهب إلى صلاة عامد في تحصيلها، ومتوصل إليها، فينبغي أن يكون متأدباً بأدابها وعلى كل الأحوال[310].

[305] _ الزهد للإمام أحمد ص:341.
[306] _ وفي رواية: "فأتوها وأنتم تمشون" شرح صحيح مسلم ج6 ص:79.
[307] _ متفق عليه: رواه البخاري ومسلم.
[308] _ شرح صحيح مسلم ج6 ص:80.
[309] _ المرجع نفسه الصفحة نفسها.
[310] _ المرجع السابق ج6 ص:79.



لأنه من المعلوم أن الإنسان إذا أتى إلى شخص من بني آدم يعظِّمُهُ، فإنه يأتي إليه بأدب وسكينة ووقار، فكيف إذا أتى ليقف بين يدي الله[311].

حتى عند الإفاضة في الحج فقد أوصى رسول الله ﷺ المؤمنين عند الإفاضة بالسكينة والوقار، والتوصية بهم في هذا الجمع والحشد الرهيب الذي يستوجب الصخبَ والتدافع تدريب للإنسان على أن يكون لك خلق ملازم له[312].

فقد قال رسول الله ﷺ: "أيُّها الناسُ عليكم بالسكينة فإنَّ البرَّ ليس بالإيضاع"[313].

أي السير السريع، فبين النبي ﷺ أن تكلف الإسراع في السير ليس من البر، أي مما يقرب إلى الله[314].

قال العلامة الراجحي: هذه الترجمة معقودة لبيان مشروعية السكينة عند الإفاضة من عرفة إلى مزدلفة، وأنه ينبغي للناس أن لا يضر بعضهم بعضاً، ولا يؤذي بعضهم بعضاً... بل ينبغي أن يلزموا السكينة[315].

---

311 _ قبس صحيح من وصايا الرسول ﷺ ص:381.
312 _ قواعد تكوين البيت المسلم ص:631.
313 _ رواه البخاري.
314 _ فتح الباري بشرح صحيح البخاري (336/4).
315 _ منحة الملك الجليل شرح صحيح محمد بن اسماعيل (823/4).

علامات تدل على صحة الالتزام[316].

1-ضرّب القلب على صاحبه حتى يتوب إلى الله تعالى ويُنيب.

2-أنه لا يفتُر عن ذكر ربِّه ولا يَفْتر عن عبادَتِه.

3-أنه إذا فاتته طاعةٌ وَجَدَ لفواتها ألماً أشدّ من فوات ماله.

4-أنه يجدُ لذةً في العبادة أشدَّ من لذة الطعام والشراب.

5-أنه إذا دَخَلَ في الصلاة ذهَبَ همُهُ وغمُّه في الدنيا.

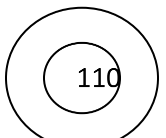
6-أنه أشحَّ بوقته أن يضيع من الشحيح بماله.

7-أنه بتصحيح العملِ أعظمُ اهتماماً من العملٍ نفسِه[317].

---

[316] _ وسلامة القلب.

[317] _ القلوب وآفاتها ص:66_67.



علامات تدل على ضعف الالتزام[318]:

1- أنه لا تؤلمه جراحات القبائح.

2- أنه يجد لذَّة في المعصية وراحةً بعدها.

3- أن يقدِّمَ الأدنى على الأعلى، فيهتم بتوافه الأمور على حساب دينِه.

4- أنه يكرهُ الحقَّ ويضيقُ صدره.

5- الوحشة من الصالحين، والأنس بالعصاة.

6- قَبولُه للشبهة وتأثُره بها.

7- الخوف من غير الله.

8- أن لا يعرف معروفاً ولا ينكرُ منكراً ولا يتأثر بموعظةٍ.

9- لا يُحِبُّ الطاعات والأعمال الصالحة.

10- يُحِبُّ المعاصي

11- لا يحب ذكر الله.

---

318 _ ومرض القلب.

12- لا يُحِبُّ ذكرَ الله

13- لا يحب الأماكن الطيبة ويضيقُ بها، ويأنس بالأماكن القبيحةِ

14- لا يُحِبُّ أهل الخير والعلم والفضل والدَّعوة ويحب أهل السوء[319].

[319] _ القلوب وآفاتها ص:67.

الباب العاشر:

أسباب ضعف الالتزام وتلاشيه

إن الضعف ليس من طبيعة هذا الدين، وهو دين القوة والجهاد والتَّمَكُن، الذي اكتسح في سنوات معدودة الإمبراطورية الفارسية بأكملها ونصف الإمبراطورية الرومانية العتيدة، والذي هزم التتار في عنفوانهم، وهزم الصليبيين في حملاتهم القديمة، واستقر في معظم الأرض المعمورة في وقته استقرارَ التَمَّكُن والرسوخ والنماء، وإنما الضعف عنصر طارئ في حياة المسلمين لم تتأت لهم وهم مستمسكون استمساكاً حقيقياً بدينهم[320]، فهناك أسباب أو بواعث تؤدِّي إلى ضعف أو تلاشي الالتزام منها:

(1) عدم الفهم أو عدم الإدراك لأبعاد ومعالم الالتزام:

وذلك أن عدم الفهم أو عدم الإدراك لأبعاد ومعالم أي أمر من الأمور يؤدي إلى رفضه ومعاداته، وعليه فإن عدم الفهم، أو الفهم وعدم الإدراك القلبي لأبعاد ومعالم الالتزام سينتهي حتماً بصاحبه

[320] _ هلم نخرج من ظلمات التيه ص:15.

إلـى التقصـير أو عـدم الوفـاء بمـا يقتضـيه الـدخول فـي صـفوف المسلمين[321].

(2) الجهل بالغاية التي من أجلها خُلِقَ الإنسان:

فإن الله تعالى خلق العباد في الحياة لأجلِ هدف سامٍ، وغاية نبيلة، وقررها سبحانه في كتابه فقال: "وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ" .

والعبودية التي يريدها الله تعالى منا، ويأمرنا بها، ويحضنا عليها، هي الخضوع والانقياد لمنهجه الثابت، وصراطه المستقيم[322].

(3) الوسط الضعيف الالتزام أو غير الملتزم:

وإذا صلحت الأسرة فقد صلحت الأمة، وإنما الأمة مجموعة هذه الأسرة، وإنما الأسرة أمَّةٌ مصغرة، والأمة أسرة مكبَّرَة[323].

فقد يعيش الانسان في بيئة ضعيفة الالتزام أو غير ملتزمة بالمَرَّة، فيأخذ من الإقتداء والتأسي[324]، فما يُطبع في الطفولة يبقى عالقاً في النفس[325]، وهذا الخلل التربوي يحدث من الأبوين أو أحدهما، إما بتقصير في التربية أو بترك التربية أصلاً، والانشغال بالأعمال

[321] _ آفات على الطريق (104/2).
[322] _ تربية الأولاد في الإسلام (9/1).
[323] _ مجموعة رسائل الإمام البنا ص:494.
[324] _ آفات على الطريق (105/2).
[325] _ هلم نخرج من ظلمات التيه ص:14.

والأسفار أو نحوها[326]، فتكون النتيجة ضعف التزام الشخص أو تلاشيه تماماً[327].

اعلم أن الصبيَّ أمانة عند والديه، وقلبُهُ جوهرة ساذجة، وهي قابلة لكل نقش، فإن عُوِّدَ الخيرَ نشأ عليه، وشاركه أبواه ومؤدبه في ثوابه، وإن عُوِّدَ الشَّرَ نشأ عليه، وكان الوِزْرُ في عنق وليِّه، فينبغي أن يصونَهُ ويؤدِبَهُ ويُهذِّبَهُ، ويُعَلِّمُه محاسن الأخلاق، ويحفظه من قرناء السوء[328].

قال الشيخ محمد الخِضر حُسين _رحمه الله_:

أيها الكفيل إذا ألقيت مسؤولية الطفل في مراتع وخيمة، أخشى أن يُضاعفَ لك العذاب ضعفين: تُعذَّبُ على تشويه تلك الجوهرة المُكرَّمة عذاباً نكيراً، وتحوزَ من تلك الجناية العامَّة نصيباً مفروضاً[329].

وأنت أيتُها الأم الرؤوم... ليس ذاك الذي بين يَدَيكِ بالطفلِ الذي يبقى أمد الحياةِ طفلاً، بل هو سِرُّ الوجود يذاع عنكِ، وصفحة الحياة تنشرُ عن أثَرِكِ، وهو أدل عليكِ من أسارير وجهَكِ وبيانُ لسانِكِ...

[326] _ الموسوعة الأم في تربية الأولاد (16/1).
[327] _ آفات على الطريق (105/2).
[328] _ مختصر منهاج القاصدين ص:171.
[329] _ السعادة العظمى، نقلاً عن كتاب قصة الالتزام ص:227.

ليست هذه البضعة المتحركة باللعبة المُلهِيَةِ، بل هي العالم الأكبرُ يضطرب كاضطرابه، ويتخايَلُ في مخايِله، فانظري على أيِّ حالةٍ تريدين أن يكون الكون...

ليس ذلك الدارجُ بين عينيكِ بالصَّبي الخلِي، بل هو خبيئة الدهر وعدتُهُ، وربَّما ضَمَّ معاطِفَ ثوبكِ على رجل الدنيا وواحِدِها، وما ينبئُكِ لعلَّ مُلكاً يُتَرَقَّبُ سيفه، أو عَرْشاً يَطْمَئِنُّ لِقَدَمَيه، أو أُمَّةً متعثِرَةً تنتظِرُ النَّصَفَةَ من وضَحِ رأْيِه، وفَيْضِ بيانه[330].

(4) الغفلة عن ذكر الله:

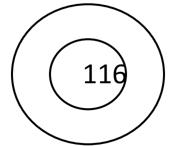
قال تعالى: "وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ".

الفعل (عشا يعشو) فمعناه: أن الإنسان لم يَرَ حقيقة الشيء لا لضعفٍ في بصره، ولكن في رغبة منه في ألَّا يرى...

يعني: أنه يتعامى ويتعاشى، ويُعرِض بنفسه عن أن يَرى[331].

[330] _ عودة الحجاب، نقلاً عن كتاب قصة الالتزام ص:242_243.

[331] _ تفسير النابلسي (351/8).



فمن لم يعر قَدرَ الخلوة مع الله فحاد عن ذكره، وأخلد إلى الخواطر الرديَّة قَيَّضَ الله له من يَشغَلُه عن الله، وهذا جزاء من تَرك الأدب في الخلوة، وإذا اشتغلَ العبدُ في خلوته بربِّه، فلو تعَرَّض له من يشغله عن ربه صَرَفَه الحق عنه بأي وجه كان، وصَرَفَ دواعيه عن مفاتحته بما يَشغله عن الله

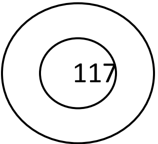
تفسير القشيري (176/3).

قال صاحب الظلال: فحين يغفل قلب الإنسان عن ذكر الله يجد الشيطان طريقه إليه، فيلزمه، ويصبح له قرين سوء يوسوس له، ويزين له السوء، وهذا الشرط[332] وجوابه[333] هنا في الآية يعبران عن هذه المشيئة الكلية الثابتة، التي تتحقق معها النتيجة بمجرد تحقق السبب[334].

(5) العادات:

من لم يَّوطِّن نفسَهُ على مفارقة العادة، والخروج عنها، والاستعداد المطلوب منه، فهو مقطوع، وعن فلاحِهِ ممنوع[335].

[332] _ الشرط "ومن يعشُ عن ذكر الرحمن"، وهي السبب.
[333] _ جواب الشرط "نقيض له شيطاناً فهو له قرين"، وهي النتيجة.
[334] _ (3189/5).
[335] _ قصة الالتزام ص:247.



فانظر إلى شوارع المسلمين... سفور وتبرج... وتَكَشُفٌ وعُرِي... وسفالة من ورائها دياثةٌ وختوثةٌ... وميوعةٌ وسوءُ أدبٍ ظاهر، أخلاقنا ذهبت فلم يعد فينا أصحاب نخوةٍ أو شهامةٍ أو رجولةٍ[336].

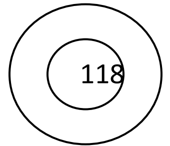
قال شيخ الإسلام بن تيمية _رحمه الله_: فالشريعة جاءت في العادات بالآداب الحسنة، فحرَّمت منها ما فيه فسادٌ، وكرهت ما لا ينبغي، واستَحَبَّت ما فيه مصلحةٌ راجحةٌ في أنواع هذه العادات ومقاديرها وصفاتها[337].

قال الشِّبليُّ _رحمه الله_: فالقلب لا يلتذُّ حالَ الصحة إلا بذكر الله ومعرفته ولقائه، وإنما يلتذُّ بغيره إذا مرضَ بسوء العادات، كما يلتذُّ بعض الناس بأكل الطين، وكما يجد المريض الحُلو مراً[338].

(6) ضعف الإيمان:

قد يكون ضعف الإيمان ونزول مستواه في نفس المسلم هو السبب في ضعف الالتزام، ذلك أن الإيمان هو مصدر الطاقات المتجددة، بل هو الحارس والحامي لصاحبه من أن يهمل أو يقصِّر، أو يُصِّر على الأخطاء.

[336] _ قصة الالتزام ص:252.
[337] _ الفتاوى الكبرى، نقلاً عن كتاب قصة الالتزام ص:248.
[338] _ قصة الالتزام ص:253.



والمسلم لو ترك الإيمان بدون تجديد وتعهد فإن جذوره تخبو، أو تضعف في النفس، وتكون العاقبة ضعف أو تلاشي الالتزام[339].

قال رسول الله ﷺ: "إن الإيمان لَيَخلَقُ[340] في جوف أحدكم كما يَخلَقُ الثوب، فسلوا الله أن يُجَدِّدَ الإيمانَ في قلوبكم"[341].

وفي رواية من حديث أبي هريرة مرفوعاً: "جدِّدُوا إيمانكم" قيل يا رسول الله: كيف نجدد إيماننا؟ قال: "أكثروا من قول لا إله إلا الله"[342].

(7) الإقبال على الدنيا والتعلق بها:

فإذا أقبلت الدنيا وكان الاشتغال والتعلق بها، لم يبق هناك وقت ولا طاقة ولا فكر يساعد على الالتزام والالتزام الدقيق، وحينئذ يضعف الالتزام أو يتلاشى[343].

---

339 _ آفات على الطريق (107/2).
340 _ يَخلَق: يبلى.
341 _ إسناده حسن: أورده الهيثمي في مجمع الزوائد وقال: رواه الطبراني في الكبير وإسناده حسن.
342 _ إسناده جيد: رواه أحمد في المسند.
343 _ آفات على الطريق (111/2).

(8) الاستجابة للوساوس والشبهات الشيطانية:

ذلك أن الشيطان قاعد للإنسان المسلم بالمرصاد، يوسوس له بإلقاء الشبهات والأباطيل كي يصرفه عن طريق الله، أو على الأقل لا يجعله يسير على الطريق حين يجعل سيره محفوفاً بالتضييع والتفريط[344].

فعن سبرة بن أبي فاكه ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: "إن الشيطان قعد لابن آدم بأطرقه، فقعد له بطريق الإسلام، فقال: تُسلم وتَذّرُ دينكَ ودينَ آباء أبيك، فعصاه فأسلم، ثم قعد له بطريق الهجرة فقال: تهاجر وتدعُ أرضك وسماءك، وإنما مثل المهاجر كمثل الفرس في الطول، فعصاه فهاجر، ثم قعد له بطريق الجهاد، فقال: تجاهد جهاد النفس والمال، فتُقاتل فتُقتل، فَتُنكَحُ امرأَتُك، ويُقَسَّمُ المالُ، فعصاه فجاهد، فقال رسول الله ﷺ: فمن فعل ذلك كان حقاً على الله عز وجل أن يدخله الجنة، ومن قُتِلَ كان حقاً على الله عز وجل أن يُدخله الجنة، وإن غرق كان حقاً على الله عز وجل أن يُدخله الجنة، أو وقصته دابته كان حقاً على الله عز وجل أن يُدخله الجنة"[345].

---

[344] _ آفات على الطريق (118/2).
[345] _ رواه النسائي وأحمد.

(9) التواني:

لا يزال العبد مقروناً بالتواني ما دام مقيماً على وعد الأماني[346].

(10) الغفلة وإفساح المباح للنفس:

سألَ رجلٌ ابنَ الجوزي فقال له: أيجوز أن أفسح لنفسي في مباحِ الملاهي؟ فقال: عند نفسك من الغفلة ما يكفيها[347].

(11) وسائل الإفساد:

وهذه كلمة عامة، تشمل وسائل الإفساد المرئية (كصور المجلات العارية وأشباهها، وكالأفلام الجنسية ونحوها، سواءً أكان ذلك في التلفاز، أو الفيديو، أو الدش، أو الإنترنت أو الكمبيوتر، أو المسرح، أو السينما، وغير ذلك).

وتشمل أيضاً: وسائل الإفساد المسموعة كأشرطة الغناء والموسيقى، فإن هذه الوسائل لن تقتصر على إفساد الأولاد، بل هي تفسد الآباء ابتداءًا، خاصةً إن كانت هذه الوسائل داخل البيت كالتلفاز، والدش، والفيديو، والإنترنت، وغيرها[348].

---

[346] _ تاريخ بغداد نقلاً عن كتاب الرقائق ص:33.
[347] _ الرقائق ص:43.
[348] _ الموسوعة الأم في تربية الأولاد (21/1).

(12) نسيان الموت أول الانحراف:

واعلم أن خطرَ الموتِ عظيم، وإنما غَفَلَ الناسُ عنه لقلةِ فكرِهِم وذكرِهِم له، ومن يذكُرُهُ منهم إنما يذكُرُهُ بقلبٍ غافل، فلهذا لا ينجع[349] فيه ذكر الموت[350].

عن خالد بن يزيد قال: سمعت محمد بن النضر يقول: شَغَلَ الموتُ قلوبَ المتَّقِين عن الدنيا، والله ما رجعوا منها إلى سرور بعد معرفتهم بكربه وغصصه[351].

قال الحسن البصري _رحمه الله_: فضحَ الموتُ الدنيا، فلم يترك لذي لُبٍّ فيها فرحاً، وما ألزم عبدٌ قلبَهُ ذكرَ الموتِ إلا صغُرت الدنيا في عليه، وهان عليه جمع ما فيها[352].

إن الأمانَ غداً لمن حذر الله وخافه، وباع قليلاً بكثير، ونافذاً بباق[353].

---

349 _ لا ينجعُ: أي لا ينفعُ

350 _ مختصر منهاج القاصدين ص:413.

351 _ صفة الصفوة(94/3).

352 _ مختصر منهاج القاصدين ص:413.

353 _ الرقائق ص:84.

قال الإمام القدوة التابعيُّ الجليل مُطرِّف بن الشِّخِّير _ رحمه الله _:
إن هذا الموت أفسد على أهل النعيم نعيمهم، فاطلبوا نعيماً لا موتَ فيه[354].

كان محمد بن النضر إذا ذكر الموت اضطربت مفاصله حتى تَبِينَ الرعدة فيها[355].

قيل للربيع بن خيثم: لو جالستنا، فقال: لو فارق قلبي ذكر الموت ساعة فسَدَ عليَّ[356].

قال سعيد بن جبير _ رحمه الله _: لو فارق ذكر الموت قلبي خشيت أن يفسُدَ علي قلبي[357].

فكم من مستقبل يوماً لا يستكمله، ومنتظراً غداً لا يبلغه، ولو تنظرون إلى الأجل ومسيره، لأبغضتم الأمل وغروره[358].

يا ساكن الدنيا تأهَّب	وانتظر يوم الفراق
وأعد الزاد للرحيل	فسوف يُحدِي بالرفاق
وابك الذنوب بأدمعٍ	تَنهَلُّ من سحب المآق

[354] _ سير أعلام النبلاء، نقلاً عن كتاب منتقى الفوائد ص:98.
[355] _ صفة الصفوة (94/3).
[356] _ المرجع السابق (38/3).
[357] _ الرقائق ص:99.
[358] _ الرقائق ص:99.

يا من أضاع زمانَه أرضيت ما يفنى بباق[359]

ولك في الختام وصية لا تنساها أبد الدهر، فعن الحارث بن إدريس قال: قلت لداود الطائي: أوصني، قال: "عسكر الموتى ينتظرونك"

صفة الصفوة (83/3).

[359] _ المواعظ والمجالس ص:52.

الباب الحادي عشر:

علاج ضعف الالتزام

فلكلِّ داءٍ دواء، ولكلِّ مرضٍ شفاء، وقد عالجَ النبي ﷺ كلَّ كبيرة وصغيرة، وكلَّ شاردة وواردة، في طريق العبد إلى الله تعالى، حتى يَصلَ الإنسان من أقربَ الطُرق وأقصرها، ويصل سليم القلب، معافى الجسد، صحيح البدن، ومن هذه الأدوية وأنفعها....

1- العودة إلى القرآن الكريم والتمسك به:

قال: "فَاسْتَمْسِكْ بِالذي أُوحِيَ إِلَيكَ إِنَّكَ على صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ".

"فاستمسك" بمعنى: تمسك، ولكن زيدت حروفها للمبالغة، أي تمسك تمسكاً قوياً بالذي أوحي إليك[360].

وهذا مما يوجب عليك زيادة التمسك به والاهتداء إذا علمت أنه حق وعدل وصدق[361].

والآية تَحُض على التمسك بالإسلام تشريعاً وعملاً[362].

[360] _ تفسير ابن عثيمين (621/9).

[361] _ تيسير الكريم الرحمن ص:849.

[362] _ أيسر التفاسير ص:1229.

فاجتهد من غير تقصير، وتوكل على الله من غير فُتور، وقف حيثُ أمرتَ، وثق بأنك على صراط مستقيم[363].

قال عبد الله بن مسعود ﷺ: إن هذه القلوب أوعية فاشغلوها بالقرآن ولا تشغلوها بغيره[364].

عن فروة بن نوفل الأشجعي _ رحمه الله _ قال: كنت جاراً لخباب، فخرجت معه يوماً من المسجد وهو آخذ بيدي، فقال: يا هنتاه تقرب إلى الله عز وجل بما استطعت فإنك لن تتقرب أليه بشيء أحّبَّ إليه من كلامه[365].

الغرب والقرآن...

ولأن الغرب علموا أهمية كتاب الله الذي بين أيدينا بدأوا يُشِنونَ حملاتهم ضِدَّ القرآن الكريم، ويوجهوا سهامَهم نحوه فقد **قال الصليبي كاتلي:** يجب أن نستخدم القرآن (وهو أخص سلاح الإسلام) ضِدَّ الإسلام نفسه حتى نقضِيَ عليه تماماً، كما يجب أن نبينَ للمسلمين أن الصحيح في القرآن ليس بجديد، وأن الجديد ليس بصحيح[366].

[363] _ تفسير القشيري (177/3).
[364] _ الزهد للإمام أحمد ص:210.
[365] _ المرجع السابق ص:253.
[366] _ خواطر إيمانية ودعوية ص:101.

ويقول وليم جيفرد: متى توارى القرآن ومدينة مكة من بلاد العرب، يمكننا أن نرى العربي يتدرج في طريق الحضارة الغربية بعيداً عن محمد وكتابه[367].

ونحن في زمانٍ أصبح الناس يعانون في صُعوبةً بالغة في تميز الحقِّ من الباطل، ومعرفة الأصيل من الدخيل، وهذا أخطرُ ما يُصيبُ المسلمَ في حياته من التباس الأمور واختلاط الحقائق، وتشويه المفاهيم[368].

2- الاعتصام بالله:

قال العاصم تبارك وتعالى:...

"وَمَن يَعْتَصِم بِاللهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيم"

والاعتصام: هو التمسك بما يعصمك، فيمنعك من المحذور والمخوف[369].

قال ابن كثير _رحمه الله_: فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية، والعدة في مباعدة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد وحصول المراد[370].

[367] _ خواطر إيمانية ودعوية ص:102.
[368] _ المرجع السابق ص:126.
[369] _ مدارج السالكين (370/1).
[370] _ تفسير ابن كثير (94/2).

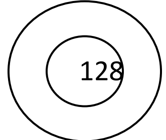
قال ابن القيم _رحمه الله_: أما الاعتصام به: فهو التوكل عليه، والامتناع به، والاحتماء به، وسؤاله أن يحمي العبد ويمنعه، ويعصمه ويدفع عنه، فإن ثمرة الاعتصام به: هو الدفع عن العبد، والله يدافع عن الذين آمنوا، فيدفع عن عبده المؤمن إذا اعتصمَ به كل سبب يفضي إلى العطب، ويحميه منه، فيدفع عنه الشبهات والشهوات، وكيد عدوه الظاهر والباطن، وشر نفسه، ويدفع عنه موجب أسباب الشرِّ بعد انعقادها، بحسب قوة الاعتصام به وتمكنه[371].

ومدار السعادة الدنيوية والأخروية على الإعتصام بالله، والاعتصام بحبله، ولا نجاة إلا لن تمسكَ بهاتين العصمتين[372].

3- الوعظ والتذكير:

ألزم قلبك العزم على تأديب نفسك، والمواظبة على توقيفها، والإلحاح على معاتبتها، والدوام على موعظتها وتذكيرها، تَعَوَّد مخاطبة نفسك ما بينك وبينها، ذكرها... ناد عليها... خاطبها... ناجها... ازجرها... انهها...

[371] _ مدارج السالكين (372/1).
[372] _ المرجع السابق (370/1).



قل لها يا نفس توبي قبل أن تموتي...

فإن الموت يأتي حان...

فإن قالت لك: في أخر العمر أتوب،

قل لها: ومن يعلم متى تموتِ، ألديك ضمان بأن تبلغي المشيب[373].

قل لها يا نفس كم مستقبل يوماً لم يستكمله؟ وكم من مؤمل غدٍ لم يبلغه؟ وتشاهدين في ذلك الموتى ولا تعتبرين[374].

4- التربية الروحية:

ويقصد بمفهوم التربية الروحية: ترسيخ القوى الروحية لدى الناشئين، وغرس الإيمان في نفوسهم إتباعاً لنزعتهم الفطرية للتدين، وتهذيب غرائزهم، والسمو بنزعاتهم، وتوجيه سلوكهم على أساس القيم الروحية التي تُستَمد من الإيمان الصحيح بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره[375].

[373] _ كيف أتوب ص:60_61 بتصريف شديد.

[374] _ المرجع السابق ص:72.

[375] _ أسس التربية الإسلامية في السنة النبوية نقلاً عن كتاب منهج التربية والتعليم عند رسول الله ﷺ ص:41.

5- ترك الذنوب والاستغفار منها:

فقد قالت أمُّ المؤمنين عائشة _رضي الله عنها_: إنكم لن تلقوا الله بشيء خير لكم من قلة الذنوب، فمن سرَّه أن يَسْبِقَ الدائب المجتهد فليكفَّ عن كثرة الذنوب[376].

عن الربيع بن خيثم أنه قال لأصحابه: تدرون ما الداء والدواء والشفاء؟ قالوا: لا، قال: الداء الذنوب، والدواء الاستغفار، والشفاء أن تتوب فلا تعود[377].

6- البيت المسلم:

في ظل شريعة الإسلام وُجِدَت الأسرة المستقرة المتحابة المتراصة، الزوجة المطيعة الوفية، والزوج المخلص الأمين، والأب الحاني العطوف، والأم الحنون الرؤوف، والأبناء البررة الأوفياء، والبنات الحبيبات المهذبات.

فالبيت المسلم: نظام إلهي وهدي نبوي وسلوك إنساني، والحياة فيه عبادة وسنة متبعة وتربية مستمرة.

---

[376] _ صفة الصفوة (343/2).
[377] _ المرجع السابق (35/2)/ أحمد في الزهد ص:396.

البيت المسلم: المدرسة الأولى التي يتخرج منها الأعضاء الفاعلون في المجتمع سلباً أو إيجاباً، سادة وقادة، وعلماء وقضاة ومربون ودعاة ومجاهدون وشهداء وأطباء ومهندسون، وزوجات صالحات، وأمهات مربيات ناجحات.

البيت المسلم: بناء متين الأساس، مترابط الأركان، أصله ثابت وفرعه في السماء، أسسه الخالق جل وعلا الذي أتقن كل شيءً صُنعا.

"أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان" .

"والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين إماماً" .

البيت المسلم: من دخله كان آمنا مطمئناً في حياته، ناجحا في معاملاته، فما أحاطت التقوى ببيت إلا ملأته سعادةً ورخاءً، فهي رحمة الله ونوره وغفرانه.

البيت المسلم: قبلة من كل وِجهة حتى تكون الأسرة مع الله وفي رحابه "واجعلوا بيوتكم قبلةً وأقيموا الصلاة" .

كما أمر الإسلام بإحياء البيوت بذكر الله وقراءة كتابه والصلاة والدعاء والذكر والتسبيح...

فكما جاء في الحديث المتفق عليه، أن رسول الله ﷺ قال: "اجعلوا من صلاتكم في بيوتكم ولا تجعلوها قبوراً" لأن القبر ليس فيه صلاة بل هو للجزاء وليس للعمل.

البيت المسلم: (دولة صغيرة) نُواةُ الأمة الإسلامية وفيه تعيش الأسرة جزءاً كبيراً من حياتها[378].

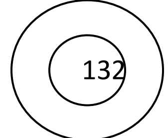
يتميز البيت المسلم بمميزات كثيرة وصفات جليلة منها:

أ- بيت أهله صالحون: فالأب ملتزم بالكتاب والسنة، وكذلك الأم، ومن ثَمَّ الأبناء ينبتون نبتاً طيباً بإذن الله.

ب- بيت صلاة وعبادة: فترى الوالد يحافظً على السنن والراتب والنوافل كصلاة الضحى وقيام الليل وغيرها من النوافل في البيت وهذا من السنة، وأما الأم فتسارع إلى الصلاة إذا ما سمعت النداء، فتصلي الفريضة بسننها الراتبة، ويصلي أبناؤها الصغار بصلاتها.

ت- بيت أذكار ودعوات: عند الدخول إلى البيت والخروج منه، وعند الطعام والشراب، واللباس، والجماع، ودخول الخلاء والخروج منه، وأذكار الصباح والمساء...

378 _ إن للإيمان بيوتاً ص:11-17.



فعن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "مثل البيت الذي يُذكَرُ الله فيه، والبيت الذي لا يُذكَرُ الله فيه: مَثَلُ الحي والميت"[379].

وقال ﷺ: "إن البيت الذي يُذكَرُ فيه اسمُ الله ليضيء لأهل السماء، كما تُضيءُ النجوم لأهل الأرض"[380].

ث- وقراءة قرآن: فهناك ورد يومي للوالدين والأبناء تلاوة وحفظاً وعملاً وتطبيقاً.

فعن أبي هريرة ﷺ كان يقول: إن البيت ليتسع على أهله، وتَحضُرُه الملائكة، وتهجرُهُ الشياطينُ، ويكثُرَ خيرُه، أن يقرأ فيه القرآن، وإن البيت ليضيق على أهله، وتهجره الملائكَةُ، وتحضُرُهُ الشياطينُ، ويقِلُّ خيره، أن لا يقرأ فيه القرآن[381].

ج- بيت صيام: فترى الوالدان يحافظان على صيام الفريضة كصيام شهر رمضان، وصيام النافلة كصيام الست من شوال، ووقفة عرفة، وعاشوراء، والاثنين والخميس، وثلاثة أيام من كل شهر.

ح- بيت تعلم وتعليم: فهناك جلسة يومية يجلس فيها الأب مع الأم والأبناء يعلمهم آداب الإسلام وفقهه وأخلاقه وتعاليمه، أو يقودهم إلى دروس المساجد وخطب الجمعة.

379 _ رواه مسلم، نقلاً عن كتاب منهج التربية النبوية للطفل (116/1).

380 _ رواه أبو نعيم في (المعرفة) وورد في كنز العمال، نقلاً عن كتاب منهج التربية النبوية للطفل (116/1).

381 _ رواه الدارمي بسند صحيح، نقلاً عن كتاب منهج التربية النبوية للطفل (116/1).

خ- بيت آداب وأخلاق وحسن معاملة: فالزوج يتعامل مع زوجته وأبناءه بأخلاق النبي ﷺ من رفق، ولين ورحمة وشفقة، وحسن معاملة وصفح، والمرأة كذلك صالحة الأخلاق زكية الآداب مع زوجها وأولادها.

فالبيت بهذه الصورة بيت للملائكة والصالحين، فالملائكة تَحبُه، والصالحون به يتزاورون ويجتمعون[382].

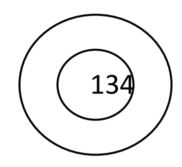
7- الصحبة الصالحة:

إن كثيراً من المنحرفين عن طريق الاستقامة يرجع سبب انحرافهم لأصدقاء السوء[383]، فسرعان ما يتأثر الأصحاب بمصاحبة الأشرار، ومرافقة الفجَّار، وسرعان ما يكتسب منهم أحطَّ العادات، وأقبح الأخلاق، بل يسير معهم بطريق الشقاوة بخطىً سريعةً، حتى يصبحَ الإجرامُ طبعاً من طباعهم، والانحراف عادة متأصلة من عاداتهم، ويصعب بعد ذلك رَدِه إلى الجادة المستقيمة، وإنقاذه من وهدة الضلال، وهوة الشقاء[384].



فكثير من الآباء والأمهات تراهم يهتمون بأبنائهم

[382] _ الموسوعة الأم في تربية الأولاد (1/37_38).
[383] _ المرجع السابق (1/18).
[384] _ تربية الأولاد في الإسلام (1/98).



وبناتهم داخل البيت ولا يعرفون شيئًا عنهم خارج البيت فعجباً لهم ألا يخافون على

أولادهم[385].

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "المرء على دين خليله، فلينظر أحدُكُم من يخالل"[386].

فمن رضيَ دينَهُ وخُلُقَهُ خالَـلَه، ومن لا تَجَنَّبُهُ، فإن الطباع سَّراقة، والصُحبَةُ مؤثرة، في إصلاح الحال وإفساده[387].

قال بعض السلفِ _ رحمه الله_ : إيَّاك ومجالسة الأشرار، فإنَّ طبعكَ يسرق منهم وأنت لا تدري[388].

قال علي بن أبي طالب ﷺ: لا تصحَبَ الفاجرَ فإنَّه يزين لك فعله، ويَوَدُ لو أنك مثله[389].

قال عمر بن الخطاب ﷺ: ما أعطي عبد بَعْدَ الإسلام خيراً من أخ صالح، فإذا رأى أحدكم وُداً من أخيه فليتمسك به[390].

قال بعض السلف _ رحمه الله_ : إن من نعمة الله على الشاب إذا نسك أن يوفقه إلى صاحب سنة يحمله عليها[391].

---

385 _ الموسوعة الأم في تربية الأولاد (18/1).
386 _ رواه أبو داود والترمذي وأحمد.
387 _ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (379/5)/ عون المعبود شرح سنن أبي داود (13/ 147).
388 _ كيف أتوب ص:64.
389 _ المرجع السابق ص:64.
390 _ الرقائق ص:55.
391 _ التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص:130.

قال الحسن البصري _رحمه الله_: إن لك من خليلك نصيباً، وإن لك نصيباً من ذكر من أحببت، فتنقوا الإخوان والأصحاب والمجالس[392].

إنك والله لأن تصحب أقواماً يخوفونك حتى تدرك أمناً، خير لك من أن تصحبَ أقواماً يؤمنونك حتى تلحقك المخاوف[393].

8- التربية بالقدوة:

قال تعالى: "أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ" .

فكونوا أيها الآباء وأيتها الأمهات قُدوَةً، واعلموا أنه مهما بذل الوالدان في إصلاح فساد الولد فلن يصلُحَ إلا بعد أن يراهم يُطبِقُونَ ما يقولون[394].

فما أحوجنا في هذه الأيام إلى القدوات الإيمانية، بعد أن أصبح الممثل والفنان والراقصة قدوة في هذا الزمن لأبنائنا وبناتنا، وكان ينبغي أن تكون قدوتنا في رسول الله ﷺ وأصحابه[395].

"أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ" .

[392] _ الرقائق ص:56.
[393] _ المرجع السابق ص:104.
[394] _ قصة الالتزام ص:240.
[395] _ صور من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين (560/1).

9- الدعاء:

أخي الحبيب...

لا بد أن نعلم أننا في أشدِّ الحاجة لتثبيت قلبك على الإيمان، فتوجه إلى الله بهذا الدعاء العظيم[396]: "رَبَنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَدُنْكَ رَحمَة إنكَ أَنتَ الوَّهَاب" .

معنى ذلك أن على الإنسان أن يبقى مستعداً لأية معركةٍ مع الشيطان، فالشيطان لا ييئس، والمؤمن معرض للفتنة في أية لحظة، فيجب أن يكون يقظاً دائماً، والشيطان هو الذي يسعى لإزاغة القلب، فلا بد أن نكون يقظين، فلكُلِّ طورٍ من أطوار الإيمان شيطانٌ يثَبِّط عزيمة الإنسان[397].

عن أُمِّ سلمة _رضي الله عنها_ قالت: كان أكثر دعائه: "يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" فقيل له في ذلك، قال: "إنه ليس آدميٌ إلا وقلبه بين أُصبعين من أصابع الله، فمن شاء أقام، ومن شاء أزاغ"[398].

---

396 _ صور من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين (557/1).
397 _ تفسير النابلسي (18/2).
398 _ فيض القدير (213/5).

تمامه عند أحمد: "فنسأل الله أن لا يُزيغَ قلوبنَا بعد إذ هدانا، ونسأل الله أن يَهَبَ لنا من لدنه رحمة إنه هو الوهاب"[399].

وفي رواية عن أنس ﷺ قال: "كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول: يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك" فقلت: يا رسول الله آمنا بك وبما جئت به، فهل تخافُ علينا؟ قال: "نعم إن القلوب بين أُصبعين من أصابع الله يقلبها كيف شاء"[400].

"ثبت قلبي على دينك" أي اجعله ثابتاً على دينك، غير مائل عن الدين القويم، والصراط المستقيم[401].

قال الغزالي _رحمه الله_: إنما كان ذلك أكثرَ دعائه لإطلاعه على عظيم صنع الله في عجائب القلب وتقلبه، فإنه هدف يصاب على الدوام من كل جانب، فإذا أصابه شيء وتأثر أصابه من جانب آخر ما يضاده فيغير وصفه، وعجيب صنع الله في تقلبه لا يهتدي إليه إلا المراقبونَ بقلوبهم، المراعون لأحوالهم مع الله تعالى[402].

399 _ فيض القدير (213/5).
400 _ رواه الترمذي.
401 _ تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي (134/5).
402 _ فيض القدير (213/5).

فردد معي...

اللهم إني أبرأ من الثقة إلا بك، ومن الأمل إلا فيك، ومن التسليم إلا لك، ومن التفويض إلا إليك، ومن التوكل إلا عليك، ومن الرضا إلا عنك، ومن الطلب إلا منك، ومن الصبر إلا على بابك، من الذل إلا في طاعتك، ومن الرهبة إلا لجلالك العظيم، ومن الرجاء إلا لما في يديك الكريمتين[403].

10- استحضار نعيم الجنة وعذاب النار:

الجنة بلاد الأفراح، وسلوة الأحزان، ومَحَطُ رحال المؤمنين، والنفس مفطُورةٌ على عدم التضحية والعمل والثبات إلا بمقابلٍ يُهَوِّنُ عليها الصِّعاب، ويذلل لها ما في الطريق من عقبات ومشاق.

فالذي يعلم الأجر تهونُ عليه مشقة العمل وهو يسير، ويعلم أنه إذا لم يَثْبُت فستفوته جنةٌ عرضها السمواتُ والأرض، ثم إن النفس تحتاجُ إلى ما يرفعها من الطين الأرضي ويَجذِبها إلى العالم العلوي

صور من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين (557/1).

[403] _ صور من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين (557/1).

والحديث عن الجنة يحرِّكُ القلوب إلى أجلِّ مطلوب، ويحدو النفوس إلى مجاورة الملك القدوس، فهي كرامة الله لأوليائه وأصفيائِه.

عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: "قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطَرَ على قلب بشرٍ" مصداق ذلك في كتاب الله تعالى : "فلا تعلم نفسٌ ما أُخفِيت لهم من قُرة أعين جزاءً بما كانوا يعملون"[404].

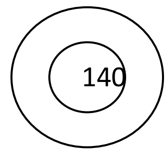
11- تغيير البيئة المحيطة:

فلا شك في أن الإيمان ينمو ويترعرع في أجواء الإيمان، ويضعف أو يضمحل إذا تعرض العبد لأجواء الإباحية والفجور والتبرج والسفور...

فعلينا أن نتجنب ونبتعد عن أماكن الكفر والفسوق والعصيان كأماكن الإباحية والفجور والنظر إلى أفعالهم[405].

عن أبي سعيد سعد بن مالك بن سنان الخدري ﷺ أن النبي ﷺ قال: "كان فيمن كان قبلكم رجلٌ تِسعَةً وتسعين نفساً، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على راهب، فأتاه، فقال: إنه تِسعَةً وتسعين نفساً، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله فكمَّلَ به مائة، ثم

[404] _ متفق عليه: رواه البخاري ومسلم.
[405] _ التربية على منهج أهل السنة والجماعة ص:129_130..



سأل عن أعلم أهل الأرض فدُل على رجلٍ عالمٍ فقال: إنه قتل مائة نفسٍ، فهل له توبة؟ فقال: نعم، وما يحول بينهُ وبين التوبة؟! انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أُناساً يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطَلَقَ، حتى إذا نصَفَ الطريق، أتاه الموت فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائباً مقبلاً بقلبه إلى الله تعالى، وقالت ملائكة العذاب: إنَّه لم يعمل خيراً قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم: أي حكماً، فقال: قيسوا ما بين الأرضينِ، فإلى أيتهما كان أدنى فهوَ له، فقاسوه فوَجَدوه أدنى إلى الأرض التي أرَادَ فقبضته ملائكة الرحمة"[406].

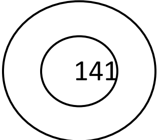
قوله ﷺ: "ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء"

فيه فضل التحول من الأرض التي يصيب الإنسان فيها المعصية لما يغلب بحكم العادة على مثل ذلك، إما لتذكرة لأفعاله الصادرة قبل ذلك والفتنة بها، وإما لوجود من كان يعينه على ذلك ويحضه عليه[407].

---

[406] _ متفق عليه.

[407] _ فتح الباري بشرح صحيح البخاري (200/7).



قال النووي _رحمه الله_: قال العلماء: في هذا استحباب مفارقة التائب المواضع التي أصاب بها الذنوب والأخدان المساعدين له على ذلك، ومقاطعتهم ما داموا على حالهم، وأن يستبدل بهم صحبة أهل الخير والصلاح والعلماء والمتعبدين الورعين، ومن يقتدي بهم، وينتفع بصحبتهم[408].

وفيه اشارة إلى أن التائب ينبغي له مفارقة الأحوال التي اعتادها في زمن المعصية، والتحول منها كلها، والاشتغال بغيرها[409].

قال رسول الله ﷺ: "المسلم والمشرك لا تتراءى نارهما".
فقد كان من عاداتهم القديمة أنهم كانوا يوقدون النيران أمام الخيمة.
فمقصد الحديث: أنه يجب على المسلم أن يكون في خيمته بعيداً عن خيمة المشرك، بحيث أنهما إذا أوقدا النيران لا تظهر نار هذا لهذا والعكس بالعكس[410].

408 _ شرح صحيح مسلم للنووي (69/17).
409 _ فتح الباري بشرح صحيح البخاري (200/7).
410 _ الفتاوى المهمة للشيخ الألباني ص:240.

وهذا الحديث يؤكد الحقيقة الطبية التي تسمى بالحجر الصحي، وأن البيئة تؤثر بالأصحاء إذا كانت موبوءة، فكذلك الأمر تماماً من الناحية الأخلاقية والإيمانية

الفتاوى المهمة للشيخ الألباني ص:240.

قال العلامة الألباني: إنه لا يخفى على الجميع الحقيقة التي تضمنتها النصوص الشرعية من حيث إن البيئة لها تأثيرها إن صالحة فصلاحاً، وإن طالحةً فطلاحاً...

وهذا أكبر دليل على أن البيئة تؤثر في الساكنين فيها، والعائشين معها[411].

[411] _ الفتاوى المهمة للشيخ الألباني ص:241_242.

وفي الختام:

فبين العبد وبين السعادة والفلاح: قُوَّة عزيمة، وصبر ساعة، وشجاعة نفس، وثبات قلب، والفضل بيد الله يؤتيه مَن يشاء، والله ذو الفضل العظيم[412].

فيا حسرة على من عَرَفَ اللهَ ثم تركه

وذاق طعم الإيمان ثم لَفَظه

وقرأ القرآن ثم هَجَره

وعلم من هو محمد ﷺ ثم جهله

وصَحِبَ المؤمنين ثم فارقهم

هذا الذي أبصر ثم عميَ، وعَرف ثم أنكر، وإقبل ثم أدبر، فذهَبَت وربِّ الكعبةِ أفراحه ومسراتِه، وأقبلت أحزانُه وحسَراتُه، لقد أُبدِلَ بأنسِه وحشةً، وبعزتِهِ ذِلَّة، وبيسرهِ عسراً، وبغناه فقراً.

إنه قبر يمشي على الأرض، وروحُه في غربةٍ من جسدِهِ، ونفسُه في مِلالٍ من حياته.

كان قلبَّه يحومُ حولَ العرشِ فأصبحَ في سجين، وكانت روحُهُ تسري مع الملائكة فأضحت في أسفلِ سافلين، إذا صَرَخَ فلا يُسمع، وإذا نادى فلا يُجاب، وإذا استَغَاثَ فلا يُغاث، وإذا اشتكى فلا يُشكى، وإذا نظرَ ارتَدَّ إليه البصرُ خاسئاً وهو حسير[413].

---

[412] _ مدارج السالكين (9/2)/ صلاح الأمة في علو الهمة (342/7).
[413] _ سلسلة طعم الإيمان (206/2).